الجنان

الجزء العشرون

في ١٥ تشرين الاول سنة ١٨٧٤

جملة سياسية

(من قلم سليم افندي البستاني)

الظاهر انه لا راحة للعالم في هذا الزمان وانه لا سبيل الى فوزه بالراحة ما لم تنقلب الاحوال تقلبًا لم يأتِ به الماضي ولا يظهر الحال نتائجه ومن راجع تاريخ العشر سنين الماضية ينذهل عند ما يرى تقلبات اوربا واحوالها فانها انت باتحاد النمسا وبروسيا على الدانمرك لسلب مقاطعات اهمتها دون النتائج التي قد جاءت بها فان حرب النمسا وبروسيا وايطاليا سارت على اثرها وتم بها اتحاد ايطاليا الشتيتة امة واحدة لم ينقصها غير املاك حضرة البابا وعقد بها اتحاد المانيا الشمالي بخروج النمسا من دائرة الاتحاد الالماني وجاء ذلك بتلك الحرب العظيمة التي زلزلت اركان اوربا وقهرت امة عزيزة طالما شعرنا نحن الشرقيين بنفوذ سلطانها وسلبت منها بلادًا جميلة واموالًا غزيرة وسلطانًا لا يعود كله الا بعودة الاتحاد الى الامة الفرنساوية وتم بتلك الحرب انشاء الامبراطورية الالمانية وفازت ايطاليا باتمام انضمامها باخذ املاك لا يزال العالم الكاثوليكي في جميع اقطار الدنيا يقيم الحجة على فتحها بالسيف والاستيلاء عليها ولم تنحصر نتائج تلك التقلبات في ميادين الحروب ووسط السياسة ولكنها دخلت بين عناصر الاعتقاد واوقعت كنيسة سائدة منذ قرون كثيرة تحت اثقال معاملة لا يتردد اهل الانصاف عن ان يدعوها يوم القوة المادية على قوة ادبية اعتقادية ولذلك ربما كانت تسمى اضطهادًا ولئن سلمنا بصحة ما تدعيه المانيا من حدوث اجراآت ادبية ناتجة عن كدر خدمة الدين من فوز العناصر المضادة للكثلكة على امة كانت عضدها ومن تمكن الدولة الايطاليانية بواسطة ذلك الفوز من الاستيلاء على املاك كنائسية سياسية ووقتية قد ظهر بمجريات الحوادث انها ضرورية لاستقلال اجراءات رئاسة الكنيسة الكاثوليكية للقيام بادارة ذات اتساع واهمية ولا سيما بعد ان تقلبت عليها الاحوال ووقع على عاتقها ثقل مضادات الدول التي طالما افتخرت بصيانتها وحمايتها وتنفيذ غاياتها على ان الزمان قد تبدل والعناصر في اوربا قد اخذت في المسير الى جهات لا يعلم اخرها الا الله وبيده سبحانه وتعالى عواقبها ومع ان حوادث السنين المذكورة في اوربا وفي امركا بواسطة حرب عتق العبيد مهمة جدًّا قد مهدت فيه مع قواعد الثورة الفرنساوية سبلًا مجهولة النهايات وما من انسان من الذين يعرفون فضل الامة الفرنساوية ونشاطها ومحاماتها عن حقوق الانسانية وكرامة اخلاقها يجب ان يسمع التشاؤم بخصوصها على ان احوالها بعد ثورتها الماضية لم تستقم الا في زمان الامبراطورية ولم تفز بذلك الفوز والمجد العظيم الا وهي سائرة الى سبيل الضعف وفساد الاحوال فاستبدادها طرحها في سوء العواقب ولذلك يقال ان خروج فرنسا من عبودية القواعد المبنية على الارث والانقياد الاعمى انما كان سببًا لدخولها في انهار من الدماء وتقلبات قد اخرتها من كل الوجوه مع انها في مقدمة التقدم وكان من الواجب ان تكون في الحاكمة على اكثر من مائتي مليون من الانفس

وليس انكلترا وآفتها الصوالح الخصوصية التي قد جعلتها منقسمة الى احزاب كثيرة وجعلت السياسة المحبوبة عندها طلبًا للانتقام من المانيا غير صالحة للاجراء في اوربا فلم تود من صميم فؤادها ان ترجع الملك الزمني الى حضرة البابا وان تجعل سياستها في الكليات والجزئيات متجهة الى ذلك غير ان خوفها من خسارة صداقة ايطاليا قد غل يديها عن تنفيذ مرغوبها فالتزمت ان تقول بالاعتراف بايطاليا المستولية على املاك حضرة البابا ولئن كانت قوتها السياسية في الحال معضودة بجنوده ولاسيما لما رات ان تظاهر مجلس النواب بالميل الى ملكية قد اشتهرت بمضادة خدمة الدين جعل ايطاليا تتظاهر بما كان قد تحول الى عدوان شديد واتحاد مع المانيا لولا مبادرة موسيو تيرس الى التظاهر بسياسة مخالفة لميل اكثر اعضاء ذلك المجلس مع انه ينبوع كل سلطان في فرنسا وكذلك حكومة المارشال مكماهون قبلت بان تحذو حذو الد اعدائها وهي المانيا حال كونها تعلم انها لا تجري شيئًا فيه شيء من الخبط وان انضمامها الى سياسة روسيا انفع لسياستها وهكذا نرى ان سياسة المانيا البسماركية بعد الحرب قد سدت ابواب الفرج عن فرنسا السياسية حتى انها لا ترى لنفسها مهربًا من القيام بما يخالف صالحها ومشربها ولعلها ترى ان في مجانبة الوقوع في عداوة ايطاليا واسبانيا نفعًا يزيد عن نفع ارضاء خدمة الدين وحزبهم او انهم يعذرونها عندما يرون انه لا سبيل الى السلوك في سبل اخرى غير ان ابواب الاعتذار ضيقة في ما يتعلق باسبانيا ما دامت روسيا مخاصمة لدول اوربا فانتظار العذر منهم عند وجود ابواب متسعة للاعتذار ليس مما تحملنا السوابق على تعليق الامل به فكيف اذا كانت الحال على ما هي عليه الان فهذه امور تستحق التبصر وتملا القلوب بالكدر وعلى الخصوص عندما نرى في نفس تلك البلاد العظيمة عناصر الثورة الغير المعتدلة وهي قلب الدين وكل امتياز وقواعد الثورة المعتدلة وهي اطلاق الحرية التامة وعدم مراعاة الحقوق الدينية سياسيًا سائدة في اكثر من نصف الامة فهذه الحال في فرنسا وفوز الاكثرية المضادة لخدمة الدين في الممالك الكاثوليكية بانفاذ مقاصدهم ومضادة الدين مضادة تدل على تصميمها على قلبه اذ ان مرادها سلب ما يقوم به دنيويًا دلائل واضحة على استقبال لا يلزم للكاتب ان يقرره بعد بسط هذه الظروف الم يجرِ ما لابد الحال عليه جريًا يغير العالم من حال الى حال وقطع النظر عن القواعد الغير المعتدلة في الدنيا كالكومونية وغيرها وحصره في حروب خدمة الدين والسياسة خطأ عظيم ولاسيما بعد ان راينا ان تلك القواعد قلبت ممالك وادخلت في العالم من القواعد ما لا تنفك فرائصه عن الارتعاد منه ولولا شهادات التاريخ لحكمنا بان الجمهوريات ان كانت معتدلة او غير معتدلة اتاتي بينبوع الويلات فالماضي البعيد والمتوسط والقريب حتى الحال قد بينت ان نجاح الامم عند اتحادها يتم اذا كانت جمهورية او ملكية وان خرابها يتم ايضًا عند دخول الفساد والانشقاق اذا كانت ملكية او جمهورية وان مستقبل الامم يعرف من احوالها الحاضرة الا في النادر ولذلك نقول ان الانشقاقات الجارية في فرنسا واسبانيا والتي قد دخلت بلادًا اخرى في اوربا ليست نتيجة جمهورية ولا هيئة حكومة مخصوصة ولكنها نتيجة فساد دخل الدول السابقة وناسب ميل اممها وهي المسئولة في كل ما قد جرى لانها لو عرفت ان تلافي الحال كانكلترا وان تشغل الامة بما هو اهم من الانشقاق عند كل امة عاقلة كالتجارة والصنائع وان تقرر الحقوق العامة المبنية على المساواة في الحقوق ورفع القدر عن العامة ومشاركتها في الادارة وذلك باغتنام سنوح

الفرص المناسبة لمشيئتها فشيئاً لانتقلت بتلك الامم من حالة العبودية والجهل الى حرية مرتبة محافظة على ملكية مقيدة تراعي حقوق الرعايا كملكية انكلترا فالامتناع عن ذلك والتصبر في ما هو مهم جالب الويل الجاري على اوربا وبالفعل مصدره مطامع الملكية وتصبراتها واعوانها فقد نفث السم في العالم وهو شهد عند مجنيه ولا يخرج ما لم يغلب وما من شيء اصعب من اخراجه والحوادث تدل على انه اخذ في الامتداد واليأس في الخروج ولا يخطئ من يخمن انه لا بد اما من ثباته بخراب الكنائس التي يضادها واما من خروجه بثباتها والامران لا يتمان الا بالسيف والنار والدول التي تضعف ضده تقويه بدون ريب وهذه حالة العالم الاوربي في هذا الزمان وقد اشتد ويله بوقوع تلك العداوة الشديدة بين اثنتين عظيمتين وهما فرنسا والمانيا غير ان اعداء فرنسا تكون بحسب الظروف فعداوة المانيا لها في كل ظرف اما عداوة خدمة الدين فتكون بتقرير حكومة لا يؤملون منها النفع وعند ذلك تسوء بهم الحال وتنقطع الامال من المساعدات العالمية وتصير فرنسا عندهم عدوة اصلها القريب صديق صادق اما اعداء المانيا فمعارضة الان وهي فرنسا وخدمة الدين الذين يعتبرونها منذ البداية ينبوع مضاداتهم ولا يخفى اهمية هذه الامور فحوادث اوربا الجارية هي قليلة الاهمية بالنظر الى الحال حتى لو اراد الانسان ان يجعلها موضوع رسالات برقية لرآها اضاعة زمان ومال غير انه اذا جعل البحث في تفاصيل الاحوال وفي مدلولاتها ونتائجها لرأى ان حالة اوربا الحاضرة مهمة جداً وهي سائرة الى ما يصعب تخمينه ولذلك قد صبت الدول مع حكمتها كل اجتهاداتها في سبيل تكثير قواتها البرية والبحرية ولئن كانت نتيجة ذلك تضعيف الثروة العمومية والتثقيل على عواتق الامة وحصر الاموال في دوائر غير عامة وما نسمعه حيناً بعد حين عن مداخلات المانيا لا يخلو من الصحة كما انه لا يخلو من المبالغة فمداخلتها في اسبانيا هي نتيجة سياسة مقررة عندها ومقاصد قد وجهت جهدها الى سبيل نوالها وكذلك ما قد شاع عن رغبتها في ضم الدانمرك الى الاتحاد الالماني فهذه كلها حوادث لا نعلم نتائجها اذا وصلت الى التمام او لم تصل او اذا صادفت فشلاً ولذلك من اوجب الامور التيقظ عند معاطاة الاشغال المالية والتجارية وعند الانضمام الى احزاب سياسية هذا واننا نحمد الله الذي قد جعل الشرق لطيفاً من كل ذلك وجعل اشغاله في طرق اخرى حاضرها يدل على استقبالها اكثر من دلالة الحال في الغرب على الاستقبال

بوارج المانيا ودول اوربا

قالت جريدة التيمس انه في خريف سنة ١٨٦٥ او في ربيع سنة ١٨٦٦ يكون لالمانيا ٨ بوارج مدرعة من نوع الفرقاطة فانها قد بنت ٧ بوارج منها والثامنة يتم انشاؤها في الوقت المذكور اعلاه وهذه قوة لا يستخف بها . ومجموع مدافع هذه البوارج ٩٢ مدفعاً من اكبر المدافع ومجموع قوة الاتها البخارية قدر قوة ٤٨ الف وخمسمائة حصان . وعندها علاوة على تلك البوارج الاولية ٢ بوارج اصغر منها مجموع مدافعها ١٥ مدفعاً ومجموع قوة الاتها البخارية قدر قوة خمسة الاف واربعة حصان . وعندها علاوة على ذلك ١٣ بارجة من نوع الكورفت مجموع مدافعها ١٦٨ مدفعاً كبيراً . وقوتها البخارية قدر قوة ١٨ الفاً وستمائة حصان ومعها ٢٤ بارجة صغيرة مجموعها كلها ٥٩ مدفعاً وقوتها البخارية قدر قوة ٨ الاف و٨٥٠ حصاناً فهذه هي بوارج المانيا المدرعة ومنها تتركب عمارة بحرية قوية غير انها معلقة امالها بامور مهمة . اما كل البوارج الالمانية اذا اضفنا الى البوارج المذكورة اعلاه ٢ بوارج شراعية من نوع الفرقاطة و٢ بوارج شراعية من نوع الابريق وهذا من الخشب يكون مجموع

البوارج الالمانية من كل الانواع ٥٥ بارجة محمولها ٢٥٤٠٠٠ طنًّا وقوتها البخارية قدر قوة ٨٤ الفًا و٧٧ حصانًا ومحمولها الوزني ٧٣ الفًا و٧٦٨ طنًّا او طونولاتة. وقد تقرر في الكتاب الازرق الرسمي ان في تلك البوارج اربعة الاف ملاح والف جندي بحري وخمسمائة من جنود المدافع خلا ضباطهم. اما في السنة القادمة فيزيد عددهم الف رجل اذ ان المانيا ستجعل كل بوارجها مستعدة للقيام بالخدمة البحرية العاملة

هذا ولاظهار نسبة هذه القوة الجديدة البحرية التي قد فازت المانيا بالحصول عليها لا بد من اظهار قوة كل دول اوربا البحرية فنقول ان لكل دول اوربا ١٤٣ بارجة مدرعة مجهزة للحرب. فلانكلترا منها ٣٨ بارجة ولفرنسا ٢٨ ولكل من الدولة العلية والنمسا وروسيا وايطاليا ١٥ بارجة ولالمانيا ٨ ولاسبانيا ٧ وللدانمرك ٣ وللبونان ٣ وهذه البوارج هي من البوارج الكبيرة. غير ان بوارج المانيا كبيرة وكذلك مدافعها حتى انه يظن ان قوتها قدر قوة كل دولة من الدول المشار اليها خلا انكلترا وفرنسا وروسيا. وفي اوربا علاوة على ذلك ٢٠١ مراكب حربية مدرعة وهي من المراكب التي تصلح للدفاع عن السواحل. فلالمانيا منها مركبان. ولكل من اسبانيا ونروج والدانمرك ٣ والدولة العلية ٥ ولاسوج ٩ ولروسيا ٣١ ولهولاندا ١٨ ولانكلترا ٣٢ ولفرنسا ٣٠. اما البوارج الخشبية في اوربا فعددها ٤٣١ بارجة. وانكلترا اقواها في البوارج الخشبية كما هي اقواها في البوارج المدرعة فان عدد بوارجها الخشبية ١٣٢ بارجة فيها خمسة الاف و٦٧٠ مدفعًا وقوة الاتها البخارية قدر قوة خمسين الفًا وسبعمائة حصان. وفرنسا ثاني انكلترا في البوارج الخشبية فان مجموع بوارجها ٥٢ بارجة فقط ولروسيا ٤٨ والدولة العلية ٤٤ ولاسبانيا ٢٧ ولهولاندا ٢٥ ولايطاليا ٢٤ ولالمانيا ١٧ وللدانمرك ١٦ وللنمسا ١٤ وللبورتغال ٨ ولاسوج ٥ ولنروج ٥ وللبونان ٢. اما المراكب الخشبية الصغيرة كالسفن ذات المدفع الواحد وغيرها فلانكلترا منها ١٧٦ مركبًا فيها ٣٠٩ مدافع وقوة الاتها البخارية قدر قوة ١٣ الفًا و٢٨٤ حصانًا وباقي المراكب ليست مما يحسب في هذا التعديل. هذا واذا مست الحاجة الى وضع عدد كاف من الملاحين في بوارج انكلترا يقتضي لها ٦٨ الف رجل فيلزم ان تدخل ٢٢ الف رجل علاوة على ذلك المبلغ لتتم العدد المذكور. اما روسيا ففي بوارجها ٣٦ الف رجل. وفرنسا ٢٣ الفًا و٥٧٠ رجلاً. والدولة العلية ٢١ الفًا. واسبانيا ١٤ الفًا. والمانيا ١٣ الفًا. والنمسا ١١ الفًا و٥٣٠ رجلاً. وايطاليا ١١ الفًا و٢٠٠ رجل. وهولاندا ستة الاف و٢٦ رجلاً. والدانمرك اربعة الاف وثلثمائة رجل. ولنروج ٣ الاف وخمسمائة رجل. والبورتغال ٣ الاف وثلثمائة رجل. ولاسوج نحو ثلثة الاف رجل

احزاب فرنسا

قالت جريدة التيمس ان الاحزاب في فرنسا يحاولون التظاهر بما هو ليس فيهم فيظهرون انهم على جانب عظيم من القوة ولو كانت آمالهم ضعيفة وانتظاراتهم لا تستحق الذكر. فان ذلك يمكنهم من ان يلقوا الوهم في قلوب اعدائهم عندما يرونهم غير قادرين على ان يقفوا على حقيقة قوتهم بحيث يشاهدون اسباب ضعفهم ولذلك نرى لجرائد فرنسا املًا وطيدًا في نجاح احزابها فان كان بعض تلك الاحزاب الى مدة ما صحيحًا فان كان بعضها هو تكلف وتصنع. ومن المعلوم ان الحزب القابض على ازمة الامور ليس بحزب سياسي كالاحزاب السياسية الاعتيادية فانه مركب من عناصر مختلفة الاحزاب ومن مرغوباته الملية قلب الحزب المهم وهو حزب الجمهورية. غير انه

اذا ستر الناس الحقيقة باسمك ستار لا يقدرون ان يخفوها فان فرنسا الان جمهورية ورئيسها هو المرشال مكماهون. ومحاولة اقامة الهيئة المسماة بالحكومة السبعية مع فراغها لابد من ان تذهب سدى حتى ان المامورين والكتاب الرسميين الذين خرجوا من الدائرة الرسمية لئلا يظهروا بعمل او قول ما يبين ان الجمهورية موجودة التزموا ان يحيدوا عن ما قررته اقوالهم . اما الجرائد الفرنساوية فقد اظهرت وقوع خلاف في الاقوال التي جرت في اثناء سياحة رئيس الحكومة الفرنساوية المرة الاولى والمرة الثانية . فالاولى السياحة في بريتانيا والثانية في الولايات الشمالية . وكان الاهالي يدعونهُ في السياحة الاولى المرشال . غير انهم دعوهُ في السياحة الثانية الرئيس او المرشال الرئيس .

وقد ظهر ان الانتخاب الذي جرى في ١٣ ايلول اثر تاثيرًا مهمًا على الكتاب الرسميين الذين بعد ذلك دعوهُ برئيس الجمهورية الفرنساوية . هذا ولا ريب في ان الاظهارات التي صادفها المرشال في سياحتهِ في اماكن كثيرة هي ذات اهمية ولا سيما في مدينة ليل التاجرة فان اعيان اهاليها العقلاء واهل الغنى فيها هم من الجمهوريين . وقد ذكرنا التاثيرات التي جرت في المرشال من جرى ذلك حتى انهُ قد نسب اليهِ التصميم على تغيير اساسات حكومتهِ فانهُ قال انهُ عازم على ان يجمع حولهُ قومًا من اهل الاعتدال من جميع الاحزاب . وقد اتى الجمهوريون ببرهان على ان المرشال مكماهون مقتنع بان فرنسا ترغب في تثبيت الجمهورية وهو ما قالهُ في اراس عندما صرخ احد الحاضرين فليعش الامبراطور فقال المرشال موبخًا فلتعش الجمهورية . وقد انكرت بعض الجرائد التي يقال انها نصف رسمية هذا البرهان اذ انها قد قالت ان المرشال لم يقل فلتعش الجمهورية . غير ان الجمهوريين يوكدون ذلك ويأتون بشاهد تحريرات جرائد المكان الذي جرى ذلك فيهِ . وليس لذلك اهمية فعلية فانهُ موكد ان الاظهارات الموافقة التي رآها في سياحتهِ قد اثرت فيهِ تاثيرًا موافقًا للجمهورية

فرنسا

قالت جريدة التيمس ان من الامثال الفرنساوية وجوب غسل الكتان الوسخ وعندنا انهُ من الواجب ان يكون ذلك المثل جاريًا بين البونابرتيين . وكان الامبراطور نابوليون الاول يحب هذا المثل ويكثر من ذكرهِ ومن الواجب ان لا يهمل خلفاؤهُ السلوك بموجب هذا المثل ولئن كان لا يستحق ان يحسب من الاراء النابوليونية واهمال ذلك لا يليق بهم . فانهُ من المعلوم ان الامبراطورية الاخيرة نابت بالمصائب والعار ولئن كانت اعمالها في ابتداء امرها مقرونة بالتوفيق والنشاط . والذي مكنها من رفع راسها في وسط اضطرابات السياسة الفرنساوية بعد ذلك السقوط انما هو في الغالب اغلاط اضدادها والظنون ان ذاكرة رجال السياسة الفرنساوية هي بالطبع ضعيفة فان تعاقب الاراء والقواعد والدول والحكومة السريعة في هذا القرن ربما كان قد جمع اختباراتهم السياسية في جهة واحدة وهي ان يتقرر في عقولهم انهُ ما من شيء ثابت غير ما لا يشاهدونهُ . ولا يخفى انهُ كان يحق للناس ان يحكموا بعد مصيبة سيدان وموت الامبراطور نابوليون الثالث ان قوة الامبراطورية ليست من القوات التي يحق لابناء هذا الجيل ان يحسبوها من القوات التي تستحق ان تكون معتبرة . وفي ابتداء الامر ظهر ان هذا هو راي الفرنساويين عمومًا . على ان الامبراطورية قد نفعت كثيرين من الفرنساويين ولذلك يبادرون الى عضدها مراعاة لصوالحهم ولو كانت ضمائرهم وافكارهم وجنسيتهم تحملهم على ان يحكموا بانها غير موافقة . اما الذين

لاضدادها فوتها نجاح الامبراطوريين في انتخاب كالفادوس وقد ظهر بانها احدقة في الرجوع الى قوتها حتى انهم سروا لما راوا ان الامبراطوريين لم يفوزوا بانتخاب نائب منهم في ولاية المان اي لاوار. ولا ينبغي ان ننكر ان الامبراطوريين قد حصلوا على عضد عظيم ولذلك يحق لهم ان يعلقوا املهم بانهم سيدعون الى تولي السياسة في فرنسا برجوع دولتهم. ومن الواجب عليهم مراعاة لاصول الحكمة ان يحولوا الافكار عن الماضي المملو بالمصائب والويلات بحيث لا يذكرون بتصرفهم بالادهم بتقصيراتهم. غير ان المنازعات التي جرت بينهم قد بينت انهم لم يتعلموا الحكمة الفعلية اللازمة لهم. ومن المعلوم ان الذي يقول ان البرنس نابوليون هو ابن العائلة البونابرتية الخلف لا يجهله. فان قوة استعداداته وحذقه يلزم حزبه بان يحسب له حساب ويراعي خاطرهُ وهو ذو طمع طالما اتصف به جنسه ولذلك لا يرتضي بان يمحي نفوذهُ. وفي ايام الامبراطورية كان حفظه ضمن دائرة الطاعة من الامور الصعبة حتى ان ميله عن طريق الحكمة في خطاباته العمومية كان من اسباب ارتباك ابن عمه الامبراطور نابوليون. ومع ذلك كان الناس يخمنون على الدوام ان الاتفاق جار بين هذا البرنس وابن عمه جريًا لم يمكن الناس من ان يقفوا على حقيقته وبان وداديًا ومستندًا الى الاتفاق ومن المؤكد ان الامبراطور المتوفى سلم اليه مأموريات مهمة سرية دقيقة اكثر من مرة واحدة وهذا لا يتم ما لم يكن ذلك البرنس متمتعًا باركان الامبراطور اذا لم نقل انه كان متمتعًا باركان وزرائه ومن المؤكد انه من المناسب لمن كان في مركز الامبراطور نابوليون ان يكون عندهُ رجل كابن عمه يقدر على ان ينكر نسبته الاركانية اليه عندما تمس الحاجة بدون ان تقع العداوة بينهما. ومع ذلك ظهر من الادلة ما يبرهن ان ذلك البرنس كان مستعدًا لان يحاول الحصول على الامبراطورية عندما يفوز بسنوح فرصة مناسبة وكان يسر بان يحول قاعدة المساواة في الامبراطورية وجمع حوله قومًا من الذين كانوا يميلون الى ذلك حتى ان قصرهُ بقي مدة طويلة في مجد ما من مجد فوقه غير مجد قصر الامبراطور. غير ان الامبراطور لم يكن يخاف من سوء بواطنه وهو في مجده وسلطانه ولم يسلك البرنس مسالك الحقة من جهة اظهاره للامة الفرنساوية انه مستعد ان يحكمها عندما تدعوهُ الى ذلك وقد خالف في ذلك عمل كثيرين من جنسه. غير انهم لم يكونوا يركنون الى ما كان يظهرهُ من هذا القبيل. اما بغض الجيش له فكان من الامور المشهورة الغريبة. فانه منذ حرب القرم لم يمكن تسليمه قيادة ذات اهمية. هذا ولا يهمنا ان نبحث عن اسباب بغضه له. ومهما كان السبب كانت النتيجة ظاهرة ومعلومة حتى انه تقرر عند الذين كان يركن الامبراطور اليهم ان البرنس من اهل النشاط لا الاقتدار العقلي. على ان الاحوال قد تغيرت منذ قلب الحكومة الامبراطورية ولا سيما بعد موت الامبراطور نابوليون الثالث. ومن المؤكد انه قد تقرر عند البرنس انه ربما كان هو الذي يحكم اذا فازت مبادي الامبراطورية. ومخطئ من يقول ان ما تقرر عندهُ خالٍ من المساند حال كون السياسة في فرنسا هي في ارتباكاتها الحالية. ومع ذلك يسهل علينا ان نقول ان الموانع التي تحول دونه ودون مقصوده كثيرة. ومن المحقق ان حزب الامبراطورية لا يدعون بان حق الملك لابن الامبراطور نابوليون هو مبني على حق الارث. وقد تجنبوا في ذلك سياسة الذين يدعون بحق الملكية وهذا من الحكمة والاصابة وقد قالوا بصريح العبارة ان البرنس رئيس حزبهم لا يقدر ان يثبوا تحت الامبراطورية الفرنساوية ما لم يدعَ

اليهِ بالانتخاب العام. وبناء على ذلك يحق لكلٍ من اعضاء العائلة النابوليونية ان يطلب الامبراطورية بحق الانتخاب كما يسوغ لابن ذلك الامبراطور ان يطلبها. غير انهُ من الامور الطبيعية ان لا يشغل اكثر الذين يقبلون بالامبراطورية افكارهم اشتقاقات حزبية وان يقرروا بان البرنس امبريال هو خلف ابيهِ. على ان هذا البرنس لا يزال مجهولاً وهو غير مجرب في الاعمال واذا جعلوهُ الوريث يكونون قد سلموا الزمام بالاركان الاعمى. واذا رجعت الامبراطورية يسلم زمام الامور الى رئيس الحزب الامبراطوري وهو موسيو روهر. اما البرنس نابوليون فقد عرف ذلك وقد سلك مسلك الدقة والحذق في حذر مضاداتهِ في ذلك الموسيو وخلص نفسهُ من المجاهرة بعداوة الذي قد اعترف الجميع بانهُ رئيس عائلتهِ وهو ابن الامبراطور نابوليون. والمرجح ان البرنس نابوليون يقدر ان يجد لنفسهِ حزباً فانهُ طالما تبع بحزب من الرجال النشيطين المحبين لهُ. وعندما نتذكر انهُ في زمان من الازمان بات ابن عمهِ الامبراطور نابوليون بدون حزب نمتنع عن ان نجعل مركز البرنس الحالي مركزاً لتخمين نجاحهِ او عدمهِ. وهو كاكثر ابناء جنسهِ من اصحاب الافكار ومع ان خطابهُ العمومية قليلة قد بينتهُ واذا كان يحاول ان يحصل على تخت فرنسا فمن العدل ان نقول ان الذي يحملهُ على ذلك ليس هو مجد العظمة الدنيوية قدر ما هو امل ترجع امور ماضية عائلية اذ انهُ مقرر عندهُ انهُ احق بها من غيرهِ. ولو اكتفى البرنس نابوليون بالاعتراف بان حقوق ابن الامبراطور المتوفى الارثية هي اكثر من حقوقهِ وبادارة السياسة الامبراطورية وتمكن من اقناع الامة الفرنساوية بانهُ يميل الى ما هو حسن من الامبراطورية وانهُ يفرغ سلطانهُ في ترقية اسباب ما هو موافق لها منها انفع الحزب الامبراطوري نفعاً ادبياً يزيد عن كلما يقدر موسيو روهر بان يرى ان ينفعهُ بهِ. فانها بخسران الامبراطورية في سقوطها عندما ظهر للناس انها باتت خارج القيادة واخذت في محاولة ستر سقوطها الادبي بستار تقدم مادي. على ان الامبراطورية ولئن كانت قوتها اخذة في الازدياد ليس لها من القوة ما يكفيها لاحتمال الشقاق الداخلي. ولها تقصيرات كثيرة لا بد لها من ان تعوضها اذا قدرت ان تقنع الامة الفرنساوية بانهُ [illegible] بمهامرة اخرى. وبما انا من المتفرجين الخالين الاغراض من واجباتنا ان نحسب الامبراطوريين حزباً وليس فرقة ومع ذلك لا يمكننا ان لا نرى ان ذلك الحزب كثيراً ما يظهر ميلهُ الى توقيف صوالح بلادهِ مراعاةً لصوالح افرادية ولسوء الحظ هذا ليس بمحصور في حزب واحد في فرنسا. ولذلك ربما كان الذين يحبون وطنهم من الفرنساويين لا يكرهون ان يروا حزباً مشطراً بانشقاقاتهِ حال كونهم قد تعلموا ان لا يركنوا اليهِ من جرى اعمالهِ الماضية. فعندما تسقط احزاب الامبراطورية والملكية والكومونية من فرنسا يقرب وصولها الى مركزها اكثر من قربها اليهِ بوجود تلك الاحزاب

فرار المرشال بازين

ان فرار المرشال بازين من سجنهِ بات ذا اهمية في الغرب والشرق كليهما كونهِ فان الحكم عليهِ بالتقصير في واجباتهِ العسكرية في اجراآتهِ المتسعة قد رفع عن الامة الفرنساوية عاراً عظيماً متعلقاً بالجيش كلهِ وبشجاعتهِ وحصرهُ في احد قوادها العظام وفي امكانية وجود الاهمال اذا لم نقل الخيانة بين اكابر قوادها وبعد ان جرى ما قد جرى من الخيانة المالية في الامبراطورية لا بالمستشفيات والملابس والمهمات والزاد لا يبقى عظيم اهمية لامر اهمال المرشال بازين من

جهة تعلقهِ بكل الامة الفرنساوية مع ان اثبات ذلك عليهِ يتعلق بها ويقال اهمية انتصارات المانيا . اما فرارهُ فهو اقل اهمية من ذلك فانهُ محصور في ظهور خيانة ظهرت خيانات كثيرة مثلها في المأمورين الفرنساويين بعد ان خسروا السياسة الامبراطورية تلك الصفات البديعة التي جعلتها الامة الاولى ووضعت في يدها انفذ سلطان في الدنيا . ومع ذلك قد جعلت الجرائد والناس فرارهُ موضوعًا لكتابات واحاديث كثيرة فان اهميتهُ بالنظر الى قلة اهمية الحوادث الجارية في العالم جريًا افراديًا تكاد تكون كاهمية محاكمتهِ بالنظر الى الحوادث التي كانت جارية في زمان جرى ما كان يحاكم عليهِ . وبما انهُ قد شاركتنا اوربا في اهتمام حوادث فرارهِ ومتعلقاتهِ من اللازم ان نشاركها في معرفة النتيجة ولذلك قد ترجمنا عن جريدة الخميس المضبطة التي اصدرها مجلس كراس الجنائي بهذا الشان وهذه هي تلك الترجمة وهي انهُ في الليل في ٩ آب بازين المرشال السابق تمكن من الفرار من المنزل في جزيرة سانت مارغاريت حيث كان موضوعًا للقصاص الذي وضع عليهِ وهو ان يسجن مدة عشرين سنة . وبعد خروجهِ من المنزل لاقاهُ قارب اتى بهِ اليهِ رول ومادام بازين . فركبهُ وسار بهِ الى خليج جوان وسار من هناك في قارب الى المركب الايطالياني المسمى بارون ريكاسولي . وقد ظهر من تقريرات كثيرة صادرة من رئيس المركب ومأمور الرسومات الذي يناظر الطريق ان المركب سار عند الساعة ١١ وكان مسيرهُ الى جهة ايطاليا . اما المسافة الواقعة بين خليج جوان وجزيرة سانت مارغاريت فتقطعت نحو ساعة ونصف ساعة هذا بحسب تعديل الملاحين الذين قد قرروا ذلك والمسافة التي كانت بين خليج جوان والمكان الذي كان فيهِ المركب الايطالياني لا تقطع في اقل من ثلث او ربع ساعة . ولذلك لا بد من ان يكون قد فرَّ الساعة العاشرة اي قبل نصف الليل بساعتين (وقد ذكرهنا شهادة صاحب القارب بخصوص ساعة ركوبهِ فلم نترجمها للاختصار) . المظنون انهُ بعد ان دخل بازين مع فيلت الى مخدعهِ بعد ان انفصل الحاكم عنهُ خرج منهُ وسترتهُ الخيمة عن نظر الحارس حتى انهُ تمكن ان يسير مع الحائط الى ان وصل الى الفسحة الخارجية . (قد ذكر في المضبطة انهُ لا سبيل الى هربهِ من جهة اخرى ولم نترجم الكلام المتصل بهذا الشان حبًا بالاختصار) . وقد ظهر من ذلك انهُ لا ريب في ان فرارهُ قد تم بواسطة الحبل الذي وجد على الصخر وان ما قيل من ان الحبل كان مربوطًا بواسطة قضيب حديدي بالنافذة هو غير الواقع فانهُ قد ظهر ان النافذة كانت مسدودة وانهُ لم يكن هناك قضيب حديدي . ولا يصدق انهُ يمكن ان يكون من اشترك مع المرشال في اسعافهِ على الفرار جاهلاً حتى يفك الحبل ويطرحهُ الى مكان بعيد لان ذلك يبقي اثرًا لمساعدتهِ لبازين على الفرار . ولذلك لا ريب في ان نزول بازين جرى حيث وجد الحبل والبراهين على ذلك وجود آثار اقدام . هذا واذا قلنا انهُ من اللازم ان يكون لبازين شريك في الفرار من الواجب ان نبحث عنهُ لمعرفتهِ وان نتبصر في انهُ عندما خرج بازين من مخدعهِ كان بارو وجيكو وليتريه واوفرانسوا امام منزل الحراسة مع بلانتن . وكان الحاكم قد خرج من الفسحة ولم يكن قادرًا على الرجوع . ولم يبقَ غير رجل واحد قادر على مساعدتهِ في الفرار وهو فيلت . ولا يلزم ان نتردد عن الحكم في ذلك بداعي لزوم وقت طويل لاتمام ذلك لان دقائق قليلة كافية وفيلت وحدهُ هو الذي كان قادرًا على ان يهيء الحبل وهو وحدهُ حصل على ما يلزم لذلك من المعرفة والاقدام . ولا يمكن ان يصير اظهار كيفية

الفرار الا بالحكم بانه صار وضع شوكة حديدية على الحائط . ولو اقام بلانتن السجان بواجباته لما تمكن بازين من الفرار . ومما يجعل تصرفه موضوعاً للشبهة لان تصرفاته السابقة لذلك لا تثبت شيئاً . وبالجملة وكذلك جيكو اهمل واجباته لانه تاخر عن فحص الامتعة المرزومة . اما مارشي فالظاهر من تقريرات السجانين انه كان من واجباته بعد تركه المسجون بازين ان يبقى على السطح وفي الفسحة ولو اقام بذلك لما تمكن من الفرار . ولا تنحصر المسئولية في ذلك على بارو وليترم وفرانسول . فانه من المؤكد ان دوانو الذي كان يعيش في نيس كان يزور بازين وانه في ٣ آب ورد اليه رسالة برقية الامضا فيها رفيلا وانه في ثاني يوم وصولها ذهب بها الى بازين . ومآل هذه الرسالة انه قد صار استئجار المركب البخاري . فهذا مما يبين بانه سهل اسباب الفرار وانه لا يمكن ان يكون اتى ذلك بدون ان يعرف ماذا كان يفعل . ومن الممكن ان مادام بازين قد كتبت الى زوجها تحريراً فيه تفصيلات غير موجودة في الرسالة البرقية . هذا وما قد ثبت من جهة فيلت ورواتو وجيكو وبلانتن هو ما يقاص بموجب البند ٢٣٧ و٢٣٤ من قانون الجزاء هذا وقد حكم قبل هذه المرة حكماً جنائياً على دوانو غيران بعض الظروف مناسبة له . وبناء على كل ذلك قد حكم المجلس بان فيلت ودوانو قد اذنبا بالاشتراك بفرار بازين وان بلانتن وجيكو سهلاه باهمالهما اذ انهما كانا يحرسانه . ومن ثم قد حكم المجلس على رول غرابا وعلى فيلت وبلانتن بالحبس بستة اشهر وعلى دوانو بشهرين وعلى جيكو بشهر . وحكم ببراءة مارشي وبارو ولوفرنسوا وليترم

خطاب امبراطور البرازيل

انه عند فض مجلس البرازيل العالي خطب الامبراطور الخطاب الآتية ترجمته

يا ايها السادة اعضاء المجلس العالي ومجلس النواب . انني اشكركم على ما اظهرتموه من حاسيات الاشتراك معي بالمصاب عند حدوث ما الم بالبرنسس الامبراطورية ابنتي . فنحمد الله القدير لانه قد شفاها اما الراحة العمومية لم تكدر في الامبراطورية الا في ولاية سان ليوبولد حيث اقام قوم من المتعصبين بتعديات كثيرة فالتزمنا ان نتداخل بالقوة العسكرية لردعهم اما الامراض التي كانت قد ظهرت فقد انقطعت من اكثر الاماكن التي قد ظهر فيها مرض الجدري وامراض اخرى . هذا ولا نزال نعيش بالسلام مع كل الدول وجميعهم متفقون مع برازيل على اجراء ما ياول الى المحافظة على احسن الصلات وترقية اسباب تقدم الصوالح العمومية المتبادلة . والمامول اننا نتمتع في هذه السنة باقبال مزروعات كثيرة . على ان مستقبل الزراعة يطلب عقد الراسمال القوي والظروف الموافقة وتوسيع دائرة امتداد الطرق الحديدية والتعليم الزراعي . اما التضحية العظيمة التي سنقوم بها في هذا السبيل للحصول على تلك النتيجة ستعوض بالارباح التي تنتج عن ذلك لجميع الامة بزيادة الثروة العمومية . والحكومة عالمة باهمية ذلك وستهتم به كل الاهتمام . وسيصدر تقرير نظام جديد للعسكرية عوضاً عن النظام القديم الناقص وسيكون ذلك واسطة لرفع شان الجندي البرازيلي وتوزيع اثقال الخدمة العسكرية بدون تكدير احد وبالمساواة التامة . فهذا الاصلاح يناسب حبنا لوطننا وتقدمنا . ولا تزال اعمال كثيرة متعلقة بالتنظيمات تنتظر قراركم . وفي تعديل المصاريف والمداخيل العمومية وهي مع اصلاح نظام الانتخاب ومساعدة الصوالح الزراعية وتنظيم التعليم الابتدائي والتكميلي من اهم تلك التنظيمات . ولابد

من ان تتذكروا تذكرًا مخصوصًا اهمية اجراء الانتخابات القادمة بموجب نظام جديد فانها تمنع المغايرات التي تجري في الحال الحاضرة وتمكن الامة من اظهار ارائها اظهارًا قاطعًا حرًّا بدون احداث تغيير في نظامات الدولة الاساسية الجارية . ولا ريب عندي في انكم في اثناء الفرصة ستفرغون جهدكم في سبيل ترقية اسباب سعادة الامة البرازيلية التي قد منحتها الطبيعة كما يجعلها عظيمة وسعيدة . اما الجلسة فقد قفلت

(الامضاء) الدون بدور الثاني
امبراطور نظامي ومدافع دائم عن برازيل

المانيا

قالت جريدة الالمان زيتونك الالمانية بخصوص ابطال المانيا تعليم اللغة الفرنساوية في مدارس الالزاس وهي احدى الولايتين التي ضمت الى المانيا بواسطة حرب فرنسا والمانيا لماذا ياترى ينبغي ان يصير ابطال تعليم اللغة المذكورة بغتة في وقت واحد مع ان الالمان والفرنساويين يعتبرون الذين يقدرون ان يتكلموا لغات كثيرة . وفي الحالة الحاضرة يقدر الاولاد ان يفوزوا بتعليم اللغة الفرنساوية في كهل او كارلسروه مع ان دون ذلك صعوبات في الالزاس ومع انه كان يصير ارسال الاولاد من كراندوقية بادن الى الالزاس ليتعلموا اللغة الفرنساوية قد تبدلت الحال وبات من المناسب ان يرسلوا من الالزاس الى بادن ليتعلموها فيها . وقد شعر الاهالي بعدم مناسبة ذلك واضراره حتى ان مجلس المقاطعة الذي ليس له علاقة بالحزب المضاد لضم الالزاس الى المانيا قد اجمع على اظهار رغبته في ابقاء تعليم اللغة الفرنساوية في المدارس الابتدائية . وماذا ياترى نتج عن ذلك . ان النتيجة كانت ورود امر بتصغير دائرة تعليم تلك اللغة . هذا ولا يلزم ان نقول ان ذلك الاجراء اتى بتاثيرات رديئة . فان الذين كانوا لا يزالون يترددون بين التحزب لفرنسا ولالمانيا عدلوا عن التحزب لالمانيا مع انه كان يتيسر استجلابهم بوسائط لطيفة مبنية على قواعد الحرية . وقد قال القوم بهذا الشان حتى في الدوائر المعتدلة جدًّا انه ما من فائدة من استخدام الوسائط المقربة لالمانيا فان نفس مجلس المقاطعة الذي قد حلف بالمحافظة على الصداقة لالمانيا قد صادف تلك المعاملة وهذا هو اعتبار المانيا لمرغوباتنا وقد نتج عن ذلك ضرر وزاد بنوايب اخرى حتى ان احب الاهالي الى السلام والمحافظة على الراحة رجعوا الى الانضمام الى الحزب المضاد لابقاء الالزاس مع المانيا

البرنس بسمارك

قالت جريدة الماكدبورغ كازت الالمانية يوم تذكار السنة ١٢ من سني تعيين البرنس بسمارك في الوزارة الاولى لبروسيا ثم لالمانيا انه قبل دخوله الى الوزارة باشهر قليلة طلب اليه ان يقبل ان يدخلها غير انه لم يقبل بذلك . ولما اتى من بطرسبرج حيث كان سفيرًا مدة طويلة بالرخصة حضر اقامة تذكار سرادنبورغ في لبسك . وكان قد حصل على اوراق تعيينه سفيرًا لبروسيا في فرنسا . وفي اثناء ذلك الاحتفال قال له احد الاصدقاء يا عزيزي بسمارك اظن انك ستصير وزيرًا . فلما سمع ذلك من فم رجل عارف بالاحوال حق المعرفة تحقق وقوع ذلك فنهض في اليوم الثاني باكرًا في الصباح وسار الى باريز لمجابهة طالب الدخول في الوزارة . وبعد ان وصل الى باريز بمدة قصيرة دعي الى برلين ليصير رئيس وزارة بروسيا . فان الكونت دره يدث كان قد بات لا يقدر ان يثبت في تلك الرياسة فانه طرح نفسه في صعوبات سياسية وباتت المهام في اضطراب عظيم . فلما وصل بسمارك الى برلين انقطعت جلسات المجلس

العالي خمسة ايام بسبب هيجان افكار القوم واشتد النزاع بخصوص تنظيم جيش بروسيا وكان اضطراب دون يزيد ذلك النزاع . اما بسمارك فوضع زيتاً على نار النزاع غير مبالٍ بعدم تقرير الدخل والمصاريف وبعد ذلك وجد نفسه في مراكز صعبة . فانه اقام الحرب على النمسا وعلى الدول الالمانية المتوسطة واقام اكثر من سبعة اشهر في اركان معسكر المانيا في زمان الحرب بين فرنسا والمانيا . ومع ذلك قد قال انه لم يبت في مركز صعب مكدر حياته بطولها كما بات عندما صار وزيراً . اما الان فلا يقدر ان يظهر كدرهُ لانه قد قبل الوزارة وكل الذين كانوا يقولون ان تعيينه في رياسة الوزارة مصيبة على البلاد يقولون بانه يتيسر له ان يبقى وزيراً اول ١٢ سنة بعد الان اذا لم يتيسر له ان يبقى اكثر

فرنسا واسبانيا

قالت جريدة التيمس ما ترجمته مع ان فرنسا قد اعترفت بحكومة اسبانيا لا تزال تنتظر جري الحوادث لترى هل يمكن ان تنال صلات ودادية بين الدولتين . وقد وردت رسالة من مدريد وفيها ذكر الامور التي قد تقرر عند الاسبانيول انه لا بد من تبديلها لتتمكن الصلات الودادية الصحيحة من الجري بين الدولتين المشار اليهما وهي التشكي من سماح فرنسا لقرينة الدون كارلوس بالاقامة في بو (قد وردت رسالة برقية بصدور امرها بخروجها منها في ٢٤ ساعة وقد نشرناها في الجنة) . ومن السماح لترستاني وغيره من روساء الكارلوسيين المشهورين بالاقامة في الحدود الفرنساوية الواقعة عند اسبانيا ومن ابقاء الوكالة الكارلوسية في بايون المدينة الفرنساوية . ومن تمكن كثيرين من الاسبانيول من الالتجاء بالامان الى هنداي . ومن السماح ببيع ملابس رسمية عسكرية كارلوسية في بايون ومن ابقاء الجريدة الكارلوسية المسماة فوادولا باتريا اي صوت الوطن فيها اي في بايون . ومن ابقاء موسيو دونادالياك واليًا في البيراني . وقد قيل في تلك الرسالة ان من اسهل الامور ان تقابل فرنسا سياسة المانيا في اسبانيا بسياسة افضل من جهة تقريب اسبانيا اليها وذلك يكون بالقيام بسياسة واضحة ثابتة لا ريب في تصميم وزير خارجية فرنسا على القيام بها لولا مضادات الحكومة الفرنساوية في الاماكن الواقعة عند الحدود الاسبانيولية . وقد قال ان الشاهد على امكانية ذلك ما ذكرته التيمس من ان سفير المانيا وسفير النمسا وسفير البلجيك قدموا اوراق تعيينهم للمرشال سيرانو وخاطبوهُ قائلين يامونسنيورالودوق . وقد قيل في تلك الرسالة ان هذه المخاطبة اتت بتاثير ردي وكدرت الاسبانيول فان تحريراً باسم المونسنيورالودوق هو باسم الدوق دولاتور وحدهُ ولا يتعلق برئيس الحكومة وهذا يدل على قطع النظر عن الامة وهو اهانة لها . ولذلك من الواجب انه عندما يقدم سفير فرنسا اوراق تعيينه يلزم ان يخاطب المرشال سيرانو قائلاً له ياسيدي البرزيدان (الرئيس) او ياسيدي رئيس الحكومة الاجرائية . فان ذلك ياتي بتاثير جيد فيقل نفوذ المانيا في اسبانيا . فهل يا ترى يتوقف تقرير جريان الصداقة بين امتين على امور صغيرة كهذه الامور

مصر

ان الاخبار الواردة الينا عن فيضان النيل في هذه السنة فيضاناً غير اعتيادي ولا سيما في السنين المتاخرة قد حملنا وحمل كل محبي مصر والذين لهم صوالح فيها على الخوف من سوء العواقب لئلا تكون نتائج زيادة المياه المضرة كنتائج نقصان النيل عن

المقدار اللازم ولم يكن بخطار للذين يجهلون انتظام حال الحكومة السنية الخديوية ونشاطها واقتدارها ان قوة الرجال المنتظمة احسن نظام تقدر ان تفوز بحصر اضرار النيل في دائرة ضيقة جدًّا فان الهمم الخديوية العلية قد وضعت اكثر من مائتي الف رجل في الاماكن اللازمة لدفع هجوم جيوش المياه وتعديها على الحدود الموضوعة لها . وهذه الاحوال ليست الا دليلاً على الحالة المنتظمة التي قد وصلت اليها الديار المصرية والفرق لا يظهر الا بمقابلتها بالامور الماضية ولا سيما مقابلة فيضان النيل الزائد واضراره بفيضانه في سنتنا الجارية . والظاهر ان مستقبل تلك البلاد مهم جدًّا ولا سيما بعد تقرير حالة القروض المصرية تقريرًا بحصر الاستحقاقات في الفائض وبجعل الرأسمال للذين في ايديهم اوراقها كاراضي او عقارات لها دخل مربوط . فان امتداد سطوة حكومة متمدنة في داخلية افريقية بداية عصر جديد لتلك القارة . ولا نظن اننا نعلم حقيقة اهمية ذلك فاننا لا نعرف اتساع دائرة الاعمال الجارية ولا تفاصيل احوال البلاد المفتوحة . غير ان ما نعلمه من حكمة الادارة الخديوية برهان وجود اهمية لتلك الفتوحات وعلى كل حال ما من شيء يسر الشرقيين اكثر من مشاهدة سطوتهم في امتداد ولا سيما اذا حملت معها اسباب التمدن والراحة والنجاح الى بلاد في احتياج شديد اليها

نباهة العرب

من جملة ما ورد عن حذق العرب ونباهتهم ما رُوي في بعض التواريخ ان بعض الملوك عزم على قصد عدوٍّ له فارسل رجلاً خبيرًا يتجسس له فلما دخل الرجل بلاد العدو وجدهُ في غاية التحصن والقوة . وشعر بهِ ملك تلك البلاد فقبض عليهِ وامرهُ ان يكتب بخطهِ كتابًا الى مرسلهِ يوهمهُ بقوتهِ وضعفهم عن لقائهِ ويطمعهُ بهم ويزين لهُ الخروج من محلهِ وتهددهُ الملك بالقتل اذا لم يفعل ذلك فلم يمكنهُ الا الامتثال فكتب

اما بعد فقد احطت علمًا بالقوم واصبحت مستريحًا من السعي في تعرف احوالهم واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت اعهد من اخلاق الملك المهلة في الامور والنظر في العاقبة ولكن ليس هذا وقت النظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله وقد رايت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك نصحت فدَع ريبك ودع مهلك والسلام . فلما وصل الكتاب الى الملك قراهُ على رجالهِ فطالت اعناقهم وقويت قلوبهم . ثم ان الملك خلا بكبرائهِ وقال اريد ان تتاملوا هذا الكتاب فاني شعرت منهُ بامر واني غير سائر حتى انظر في امري . فقال بعضهم ما الذي لحظ الملك في الكتاب . فقال ان فلانًا (اي الذي كتب الكتاب) من العقلاء ذوي الحزم والراي وقد انكرت ظاهر لفظهِ فتاملت معناهُ فوجدت في باطنهِ خلاف ما اوهمكم الظاهر . وذلك في قولهِ اصبحت مستريحًا من السعي فيريد انهُ محبوس وقولهِ استضعفتهم بالنسبة اليكم يريد انهم ضعفنا لكثرتهم . وقولهِ انكم الفئة الغالبة باذن الله فيريد المعنى هنا مشيرًا الى قولهِ تعالى كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً باذن الله وقولهِ رايت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك فاني تاملت ما بعدهُ فوجدت انهُ يريد بالقلب العكس لان الجملة الآتية مما يوهم ذلك فقلبت الجملة وهي قولهُ نُصحتُ فدع ريبك ودع مهلك فاذا مقلوبها كلهم عدوٌّ كبيرٌ عدَّةً فتحصَّنْ . انتهى . قال بعض الفضلاء ولا ادري ايُّهما احذق الذي كتب ام الذي فسَّر وكفى بهِ برهانًا على حذق العرب ونباهتهم فتبارك الله احسن الخالقين

مصر

لا يخفى اننا منذ خمسة اشهر اخبرناكم بوصول سعادة الخاتون امراة المرحوم الامير بشير الشهابي وجناب صهرها الامير سليم عبد الله شهاب الى الديار المصرية وان المراحم الخديوية قابلتها بالترحاب والكرامة وامرت بوضعها في منزل المسافرين المعين للذين هم من اهل الكرامة كحضرتها . وكانت مصاريفها كلها في المدة المذكورة ومصاريف الذين معها من طرف الحكومة الخديوية السنية . وقد اخبرناكم عن الاكرام الذي قد فازت به في ذلك المنزل بمعاملة كل المتوظفين ولا سيما رفعتلو زاكي افندي ناظر محلات المسافرين فانه على جانب عظيم من اللطف والغيرة والانتباه الى القيام بواجباته وباجراء جميع الاوامر التي تصدر اليه من لدن الحضرة الخديوية وبالجملة نقول انه يستحق الثناء والمدح . وعندما صممت سعادتها على السفر صدرت الاوامر القاطعة من لدن الحضرة الخديوية الى جميع ماموري الطرق الحديدية والاسماعيلية وبورت سعيد ليعتنوا بسعادتها وبمن معها عند وصولها الى المحلات والمكانين المذكورين وان تكون كل مصاريفها من الحكومة الخديوية السنية الى ان تصل الى الديار الشامية . وقد عرفنا انها اصبحت حاملة ثقلاً عظيماً من الممنونية لتلك الذات البديعة الصفات الخديوية ولجميع انعاماتها السنية . فنطلب الى الله تعالى ان يحفظ لنا حضرتها العلية ويقرن بالتوفيق جميع مقاصدها الخيرية

تحريراً في مصر القاهرة في ٢٩ ايلول سنة ١٨٧٤

كاتبه

يوسف شكور

حل لغز مانويل افندي فيليبيذس

(من قلم كريكور افندي كوركجي البغدادي)

قد قرات في الجزء السادس عشر من الجنان اللغز المدرج فيه من قلم مانويل افندي فيليبيذس فاجيب ان الاسم المذكور هو اسم امراة مشهورة بالعقل والجمال وهي التي تزوجها ملك اذا ضرب حاصل حروفه بعشرة واضيف عليها القاف والياء والدال المهملة يكون الحاصل التاريخ المسيحي . وبعد ان قتلت زوجها وملكت عوضاً عنه وتجحت شرقاً وغرباً بنت في بلاد ارمينية بلدة حاصل اسمها الحالي ٥٧ وبعد موتها عُبدت وتمثالها الحمام وعند البعض هو ترجمة اسمها واذا اخذنا ثلثة احرف من اسمها لقينا الامن

القائد المحبوب

من اهم واجبات كل رئيس ان يكتسب حب مرؤسيه بمشاركتهم في اتعابهم وآلامهم والاعتناء بهم ولا ينبغي ان يظن الناس ان ذلك محصور في القواد والحكام فان في كل دائرة عمل ما يمكن الرئيس من اكتساب حب الذين هم دونه بتلك الوسائط ما لم يكونوا غير منصفين وفي قراءة اخبار المارشال فيلار الفرنساوي الذي اشتهر في المعركة التي جرت بين الفرنساويين وجنود النمسا وهولاندا سنة ١٧١٢ للميلاد (فانه هو الذي فاز بالنصر فيها) ما يصبو الانسان الى مطالعته . وكان على جانب عظيم من الحكمة غير انه كان يعرض نفسه في المعارك الى المخاطر كانه جندي لا يتوقف عليه امر مهم . وفي ذات يوم أُلحّ عليه بان يلبس درعاً اذ كان القوم ينتظرون ان تنشب حرب دموية فرفض اجابة طلب اصدقائه وقال

بصوت عالٍ على مسمع من جنوده انني لا احسب حياتي اعز من حيوة جميع هولاء الابطال. وفي مرة اخرى اشير عليه بان لا يعرض للخطر حيوة ثمينة كحياته فاجاب انه من واجبات القائد ان يعرض نفسه للخطر كما يعرض انفس الاخرين له. وعندما بات على فراش الموت قيل له ان المرشال بروك قد هلك بكرة مدفع في فيلسبورغ من دوقية باد في المانيا فصرخ قائلاً اه لقد طالما قلت ان ذلك المارشال اسعد مني

ضمانة العدالة

ان ضمانة العدالة انما تكون بحيث يكون الذين يسنون القوانين او الذين يوقعون على انفاذها يحافظون عليها ولو التزموا ان ينفذوها في انفسهم او في اصدقائهم او في اولادهم واقاربهم وما من شيء يضر بالعدل اكثر من تعدي الذين في ايديهم زمام الامور على النظامات والقوانين فان ذلك يسري كالعدوى فان تعدى الملك عليها يقتدي به الوزراء ويسري منهم الى الولاة ثم الى المتصرفين الى ان يبلغ التعدي في اجراءات شيوخ القرى وكان الحكماء القدماء يكثرون من تحذير الحكام من هذه الآفات كما يظهر من الخبر الآتية ترجمته وهو. ان مدينة براهج من ايطاليا كانت مدينة يونانية مستقلة امست في ما يسوقها الى الخراب والضعف بواسطة الظلم والتعديات وغير ذلك من الامور الناتجة عن فساد الاحكام. وعندما ضاقت بها الاحوال سلمت السلطان الاول الى احد الاهالي وهو الحكيم شارونداس وطلب الاهالي اليه ان يسن لهم نظامات وقوانين عادلة موافقة لاحوالهم. وفي مدة قصيرة تمكن من ارجاع الراحة والتقدم والنجاح فرتع الاهالي في رفاهية وسعادة وكانت قوانينه ضمانة المحافظة على تلك الحال المسعدة. وبعد ان اكمل هذه الاعمال المهمة النافعة تنحى عن السلطان ورجع الى العيشة الافرادية وهو يحافظ على اجراء كل الفضائل المتعلقة به وحده وبالخير العام. ومن القوانين المشددة التي قررها اجراء قصاص جميع الذين يأتون الامكنة العمومية للاجتماع والجلوس وهم متقلدون السلاح والذي حمله على ذلك لزوم قطع عادة ردية مضرة كانت متمكنة من الاهالي وهي ان يتقلد كل منهم خنجرًا او سيفًا عندما يذهب الى امكنة الاجتماع والجلوس حتى انه كثيرًا ما كان ينتج عن ذلك منازعات عمومية حتى انها بعد ان تكون بدون اهمية تنتهي دموية بواسطة استخدام تلك الاسلحة وفي ذات ليلة كان ذلك الحكيم نائمًا فسمع ضجيجًا فاستيقظ وسمع صراخًا عموميًّا فان الناس كانوا يقولون هلموا الى المحتكم فانه قد اخذ العدو في حصر القلعة. فنهض في الحال وتقلد سلاحه وخرج من بيته في اقصر طريق وسار قاصدًا القلعة فمر في مكان اجتماع عمومي. فلما وصل الى المكان المقصود وجد انه ما من صحة في ما اهاج الاهالي فانه لم يكن عدو يحاصر القلعة غير انه لما رجع الى نفسه وجد انه كان قد تعدى على القوانين بمروره في مكان عام وهو متقلد الاسلحة اذ انه لم ينتبه الى ذلك من جرى خوفه على وطنه مع ان جميع الاهالي كانوا قد تمنعوا عن المرور في مكان عام في تلك الليلة وهم متقلدون الاسلحة حتى ان اكثرهم كان قد سلك طرقًا عمومية للامتناع عن الحاق اقل خلل بها. ففي الصباح سار ذلك الحكيم الى المحكمة وطلب الى القاضي بالحاح وسلطان بان ينفذ فيه القانون الذي كان قد سنه وقال انه يجب ان يكون الجميع متساوين في اجراء القوانين بدون مراعاة ظروف الافراد واهميتهم فاذا راعيتموني لانني كنت رئيسكم وانا الذي سننت قوانينكم تحيدون عن سبل العدل وانا اعلم انني استحق القصاص لانني

تعديت على القوانين اكثر من جميع الاهالي لانني اعرف بها منهم جميعًا لانني سننتها . فكيف تنتظرون ان تكون قوانينكم محفوظة اذا مكنتم الذي سنها من ان يتعدى عليها . فلا تترددوا عن اجراء قصاصي. هذا واني متاسف اذ قد اخطات غير انني اهني نفسي لوقوعي في ذلك الخطا اذ انهُ قد مكنني من ان اتي بهذا البرهان لابين حبي لوطني وللعدل

ارستيذس

ان العظيم بالفعل في هذا العالم لا يطلب المال كما يطلب المجد والفضائل فيجعل كل شيء في المحل الثاني بالنظر الى المجد الصحيح والفضل فبعد معركة ماراثون المشهورة التي جرت بين اليونان والفرس تُرك ارستيذس في ميدان الحرب ليحرس الاسرى والغنائم ومعهُ عدد قليل من الجنود . وكان الذهب والجواهر والملابس الفاخرة ملقاة في معسكر الفرس المنهزمين في كل الجوانب ولم يرتضِ بان يمس شيئًا منها ولا ان يسمح لاحد من الذين تركوا معهُ بان ياخذوا شيئًا . هذا ولا يخفى انهُ اقام في ذلك بواجباتهِ ولذلك لا يستحق المدح الذي يستحقهُ الذين يقومون بما هو اكثر من واجباتهم غير ان ما فعلهُ بعد ذلك هو ما يستحق الذكر وكل الثناء فان اليونان جميعهم انتخبوهُ ليدبر ماليتهم ويصلح احوالها . ولا يخفى ما في ذلك من الاهمية فقبل ان يقوم بهِ غير انهُ لم يرتضِ بان يعين لهُ معاش حتى انهُ مات وهو في حالة الفقر حتى ان الجمهورية اليونانية التزمت ان تقوم بمصاريف جنازتهِ ودفنهِ وان تعين لبناتهِ المبالغ اللازمة لهم عند الزواج

العدل والانسانية

ان دليل الدناءة استغنام الانسان وقوع عدوهِ في المصائب ليقوم بثاره ويتفذ غاياتهِ بزيادة خرابهِ مع انهُ من واجبات الانسان الكريم الاخلاق والصحيح القواعد ان ينتظر فرصة وقوع عدوهِ في المصائب ليسعفهُ اظهارًا لمراعاتهِ لحقوق الانسانية وقد جرى ذلك مرات كثيرة في اثناء الحروب التي انتشبت بين الامم ففي الحرب التي انتشبت بين انكلترا واسبانيا سنة ١٧٦٦ كان مركب انكليزي في خليج جامايكا الانكليزي قد دفعتهُ الانواء الشديدة التي اصابتهُ الى مينا هافانا من جزيرة كوبا الاسبانيولية في امركا لانهُ لولا ذلك لغرق هو والذين في مركبهِ مع الشحن الثمين الذي كان فيهِ . فالقى الاسبانيول القبض على رئيس المركب الانكليزي وقادوهُ الى الحاكم فقص عليهِ خبرهُ وبين لهُ كيف سيق بالانواء الى ذلك المكان فقال لهُ انك انت صاحب مركب واسرني واسر ملاحي وجنودي فاطلب اليك ان تعفو عن قتل الركاب . فاجاب الحاكم الاسبانيولي لا يا سنيور انني لا اعاملكم هذه المعاملة . فلو اسرناكم في البحار او عند الشواطي بالحرب العادلة لاستملكنا مركبكم واسرناكم . غير ان الانواء قد غلبتكم فالتزمتم ان تلتجئوا الى هذا المكان ومن واجباتي ان انسى ان الحرب منتشبة بين امتي وامتكم وان لا اعاملكم الا المعاملة التي يجب على الناس المتمدنين ان يعاملوا بها الذين يقعون في المصائب . فحقوق الانسانية تحملنا على ان نحميكم مجانًا . فاخرج الشحن من مركبك وانت في امان واصلحهُ ثم ارجع الشحن واذهب وساعطيك تذكرة مرور الى ان تصل الى قبالة جزائر بهود . واجرى ذلك الحاكم هذا العمل . اما تصرفات لابيروز الرئيس الملاح الفرنساوي الذي عاش في نهاية القرن الثامن عشر في ايام الملك لويس السادس عشر الاسبانيولي فلم يكن اقل موافقة لحقوق الانسانية من تصرفات ذلك القائد الاسبانيولي . فان الحكومة الفرنساوية فوضت اليهِ الهجوم على منازل الانكليز

في خليج هدسون وامرتهُ بان يهدمها كلها . فبعد ان قطع مسافة طويلة وصادف صعوبات كثيرة وصل الى المكان المقصود وهجم على القلعة والمنازل وفتحها وهدمها تنفيذًا للمأمور بهِ وتصرف تصرفًا جامعًا بين انفاذ اوامر حكومتهِ ومراعاة حقوق الانسانية . ومن المعلوم ان تلك الاوامر كانت قاسية فانفذها كلها غير انهُ بعد كسر العدو والقيام بواجباتهِ العسكرية اخذ في ان يقوم بواجبات الانسانية فان الاهالي الانكليز كانوا قد فروا الى الاحراش فان منازلهم كانت قد هدمت وباتوا في خطر من الهلاك جوعًا ومن الهلاك بهجمات الهنود البرابرة . غير ان لابيروز ترك لهم سلاحًا وزادًا كافيًا

مراعاة الخواطر

من آفات العدالة في الدنيا مراعاة القضاة والمجالس فيها الظروف عوضًا عن ان يراعوا النظام والعدل وضمائرهم فاذا راوا الذين هم اعلى منهم رتبة وانفذ سطوة يميلون الى جهة ان حقًا وان باطلًا يميلون اليها بمجرد ميلهم غير مراعين العدل والحق واصول القوانين التي من واجباتهم ان يراعوها وفي الخبر الآتي ما يبين فضل الذين يعملون واجباتهم في المحل الاول ومراعاة الخواطر في المحل الثاني وهو ان الجنرال مورو كان من اعظم قواد الجمهورية الفرنساوية وقد اشتهر في فوزهِ العظيم في التوري نوار سنة ١٧٩٦ وبانتصارهِ المجيد في هوهنلنون سنة ١٨٠٠ عندما كان بونابرت وهو نابوليون الاول قنصل فرنسا الاول اي حاكمها . فسمح مورو للحسد بان يدخل قلبهُ فاضمر السوء لبونابرت فاتحد مع اعدائهِ وصمم على الغدر بهِ فعرف بهِ بونابرت وحاكمهُ . وفي اثناء هذه المحاكمة المشهورة جرى كلام بخصوص الحكم عليهِ وكان قاضي مجلس ولاية السن الجنائي يقول ان العدل في الحكم على مورو بالسجن سنتين . غير ان احد عظماء فرنسا كان يلح عليهِ بان يحكم عليهِ بالقتل وقال لهُ ان القنصل الاول اي بونابرت يسر بذلك جدًّا ويعفو عن المحكوم عليهِ ليبين كرامة اخلاقهِ اذ يخلص عدوهُ بعد ان يبيت في قبضة يدهِ فاجابهُ القاضي ان القنصل الاول يعفو عنهُ ومن يعفو عنا نحن بعد ان نكون قد حكمنا بما يخالف الحق وضمائرنا

لغز

(من قلم يوسف افندي نقولا نقاش)

افيدونا يا اولي البصيرة والآداب . ولكم الفضل والثواب

ما اسم ثلاثي عمرهُ يوم او يومان . مع انهُ وجد قبل سيدنا سليمان . لا تلحقهُ سوابق الانس والجان . وهو اعظم دليل على قدرة الخالق المنان . لا تصيبهُ شمس ولو مهما كرت عليهِ الدهور والايام . وبالامس كان يزدهي بها على احسن ترتيب واتم نظام . يندم الانسان على فواتهِ . ولا يسلم من آفاتهِ . يحيا ويموت بهِ الصالح والشرير . وينطوي بهِ الامر الكبير والصغير . فيهِ الكسر والجبر . والغنا والفقر . والخوف والامن . والهزل والسمن . وهو غير قادر على قطع خيط القطن . عكسهُ فردوسٌ ساوي الذيبِ ولا تخشَ باسهُ . وما مسك الا ان قطعت راسهُ . وقال الله حينئذٍ من عكسهِ . ولا رماك بشرهِ ونحسهِ . وان اخرتهُ غربت عنك شموس ايضاحهِ . وحجبت معاني اصباحهِ . وان قدمت آخرهُ على اولهِ اضحى ابًا لاكثر الانام . وساميًا جليل المقام . وان قدمت وسطهُ على قدميهِ اضحى اسمًا معلومًا لدى الجميع . يلازم كل احدٍ رفيعًا كان او وضيع . وان حذفتهُ اراك عذارًا . اخضر نضرًا بهِ تتغزل الشعراء . وان عكستهُ سال بغير فائدة . وان حذفت آخرهُ حنَّ عليك حنو الوالده

ومع انهُ اضحى فعلاً ماضيًا يصلح ايضًا ان يكون اداةً كما ان ذلك عندهُ لا يغرب. وان اضفت اليهِ بعض الحروف اصبح لا يقرا ولا يكتب. عكسهُ يروي ويشفي. والاعجب انهُ يبقي. وان قدمت وسطهُ تراهُ من الاجسام النادره. يفتخر بهِ ملوك القياصرة والاكاسره تغلط العامة بتعريبهِ. مع انهُ الاجوف ييس تهجيًا بتصريفهِ. وان صحفتهُ وقدمت اخرهُ اراك بلدةً عيشها مستطاب نوكل بالعكس وهذا من اعجب العجاب

مسئلة فلكية

(من قلم الياس افندي بركات المتغرب)

لو فرضنا الارض كرة تامة وغير محاطة بالهواء وفرضنا حدوث كسوفين احدهما تام والاخر حلقي وان الاول حدث حين كانت الشمس في الاوج والقمر في الحضيض والثاني بالعكس وفرضنا معرفة قطر كل من الارض والشمس والقمر وبعد مركز الارض عن مركز كل من الشمس والقمر وهما في الحضيض ولنفرض ان ثلاث مدن كانت واقعة على محيط كل من الكسوفين المذكورين اي على محيط الظل وعلى محيط الدائرة التي منها تبان الشمس حلقة ولنفرض سطح تلك الدائرة في كلا الكسوفين عموديًا على شعاع الشمس ولنفرض معرفة طول كل من الاقواس من الدوائر العظيمة الواقعة بين تلك المدن. فكيف نجد قطر الدائرة المذكورة. وكيف نجد الفرق بين بعد القمر في الكسوف الثاني عن بعدهِ في الكسوف الاول

الطب والاطباء

(من قلم نوفل افندي نعمة الله نوفل)

من المعلوم ان المعول عليهِ في اعتقاد اكثر اهل الكتاب ان اول ارضٍ سكنها الجنس البشري كانت ارض شنعار التي اهاليها هم قدماء العراق والاكراد وتُعرف الان بارض الجزيرة بين نهري دجلة والفرات حيثما بنيت اول مدينة على وجه الارض بعد طوفان نوح المشهور بالطوفان العام ودُعيت بابل وبعض المورخين يخبرون بان سكان هذه المدينة هم اول من مارس العلوم وخدمها والجميع متفقون على ان علماءها اشهر علماء العالم في جيلهم وكان من جملة العلوم التي خدموها طلب تحصيل معرفة وسائط مداواة الامراض الجسدية بواسطة الاستقراء والامتحانات التجريبية التي منها تكوَّن اخيرًا علم الطب الذي هو في اللغة علاج الجسم والنفس واما في الاصطلاح فهو علمٌ باصول تعرف بها احوال ابدان البشر من جهة الصحة وعدمها لتحفظ حاصلةً وتحصل غير حاصلة وهو المراد هنا

وكانت الطريقة الاولى التي سلكها اهل بابل في هذا المطلب انهم كانوا ياتون بالمرضى ويضعونهم في الازقة ومعابر الطرق بقصد انهُ اذا مرَّ عليهم احد ممن قد اصيب بذلك الداء المصاب بهِ المريض يراهُ فيعلمهم سبب شفائهِ من تلك العلة سواءٌ كان بواسطة تجربةٍ منهُ خصوصية واما بالاستفادة من غيرهِ وعلى هذه الصورة مارسوا هذا العلم جدًّا حتى برعوا فيهِ واتقنوهُ غاية الاتقان وكانوا يكتبون اسماء العلاجات التي يتحققون افادتها على الواحٍ ويعلقونها في هيكل شبروه لوثن من اوثانهم زعموا انهُ معبود الطب واقتدى بهم في هذا العمل كثيرون من شعوب الارض

ثم لما اتقن المصريون ايضًا هذا الفن كان لا يتفرغ الطبيب عندهم الا لمعالجة مرضٍ واحد من الامراض وبهذه الواسطة نجحوا فيهِ وبرعوا وربما كانوا هم اول من اخرج الدم من العروق بواسطة الفصد سنة ١٥٦٤ قبل الميلاد وبعدهُ استعملوا المقيء في سنة ١٥٠٤

والضادات في سنة ١٤٩٤ قبل التاريخ المسيحي

وكذلك العبرانيون اشتغلوا بهذه الصناعة ولا سيما لما ظهرت بينهم الفرقة المعروفة بالاسينية وهم جماعة ينتسبون الى الفيثاغور ويسبن فرقة من فلاسفة اليونان فاجتهدوا بدرس الادب وعلم الطب وتعليمه وكانوا يبحصون عن القوة المولدة للنباتات والجمادات

واما السبب في كون اختراع هذا الفن ينسبه كثيرون الى اليونانيين فهو لكون اول من دونه في الكتب كان بقراط اليوناني نحو سنة ٤٦٠ قبل الميلاد وكان بنو اقليميوس يتداولونه قبله خلفًا عن سلف لسانًا لا كتابة ولا يبوحون به لاحد كما هو شان كثيرين من محبي الذات الذين اما طمعًا بالمنفعة الخصوصية واما حبًا بالتفرد في المعارف لا بد انهم اماتوا كثيرًا من معارفهم بموتهم ودفنوها معهم في قبورهم والظاهر ان اول من علَّم فيه على هذه الصورة عندهم كان رجل يقال له اسكولاب تلقنه عن رجل اخر يسمى شيرون القنطوري ولذلك نظموا هذين الطبيبين في صف معبوداتهم وشحنوا بلادهم من الهياكل لاسكولاب المذكور بزعمهم انه معبود الطب وانه ابن ابولون ومن خرافاتهم فيه انه لما تعلم من ابيه ومن شيرون القنطوري المذكورين علم الطب اجتهد في احياء هيبوليت بن طيسه وقد كانت مزقته الحيوانات البحرية فلما راى جوبتير (جده) ان هذا الاحياء من قبيل التجاري على حكمه رمى اسكولاب بالصواعق فلما راى ابولون (ابو اسكولاب المذكور) انه لا يقدر على الانتقام من ابيه لابنه قتل الصقالبة وهم الذين كانوا يصطنعون الصواعق فاغتاظ جوبتير من ذلك غيظًا شديدًا وطرد ابولون من السماء وسلب عنه صفات المعبودات زمانًا طويلاً. انتهى. فلما ظهر بقراط المذكور وكتب عدَّة فصول في هذه الصناعة وهي التي شرحها اخيرًا ابن النفيس قالوا ينبغي ان يكون بقراط هذا اول من اخترع الطب المؤسس على النظر في احوال المرضى والتجريبيات ورتب لذلك المرستانات يعني بيوت الصحة وقد ذكرهُ صاحب تذكرة الحكم فقال انه كان يسكن مدينة حمص من اراضي الشام وله مؤلفات في الطب ترجمت في عهد المامون الخليفة السابع من بني العباس الى اللغة العربية. انتهى. ثم لما ظهر ارسطاليس الفيلسوف المولود في سنة ٣٨٢ قبل الميلاد وكان معلمًا للاسكندر المكدوني فاعطاهُ الاسكندر (٨٠٠) قطعة من النقود الذهبية الدارجة في ذلك الوقت وامرهُ ان يجمع جميع انواع الحيوانات ويفحص طبائعها وخصوصياتها ففعل وكان بذلك هو اول من شرع في تشريح الحيوانات وبعدهُ ظهر في المدرسة البطليموسية بالاسكندرية المعلمان هروفيلوس وفيلبوس وباشرا بتشريح الاجسام البشرية ايضًا وكان ذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ثم لما ظهر جالينوس من برغامس وهي مدينة يونانية في اسيا الصغرى وكان ظهورهُ في مبادي القرن الثاني بعد الميلاد والف في هذا الفن تآليف جليلة وتصانيف كثيرة وظهر معهُ روفس وغيرهُ فوسعوا دائرته وكانوا يعتقدون تضمنه لعلم الفلك حيث زعموا بان للاجرام السماوية دخلاً في امراض البشر وتاثيرًا في اجسامهم. قال بقراط ان الطبيب الذي لا يعرف علم النجوم لا يعتمد عليهِ فانه يلزم ان يتحرى اصلح الاوقات لاعطاء الدواء وكذا قال غالينوس من بعده وكانا يزعمان ان بحران المريض ياتي في اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين وهي الايام التي ينتقل فيها القمر من حال الى حال بل قد جعلا ايضًا جسم الانسان بمنزلة عالم صغير فنزلا القلب فيه منزلة الشمس في الافلاك والدماغ منزلة القمر وزعما ان المشتري يتولى الرئة والمريخ يتولى الكبد وزحل يتولى المرة والزهرة تتولى الكليتين

وعطارد يتولى آلات التناسل وامورًا مثل هذه لا زال بعضها في اعتقاد جهلاء الاطباء حتى ايامنا هذه ومن الشقاء ايضًا ان الاطباء اليونانيين المذكورين كانوا مثل فلاسفتهم في تشعبهم الى عدة مذاهب بعضها عدو لبعض واختلافهم في اصول العلوم وصلهم الى عمليات متناقضة فكان الانسان منهم يشتغل مدة حياته في الرد على غيره وتأييد مذهبه

واما علماء هذا الفن في زمن القياصرة الرومانيين فكانوا من الماهرين لكنه لم يتقدم تقدمًا يذكر منذ عهد القياصرة الانطونيين الى زمن اول الخلفاء العباسيين ومع ذلك فقد نبغ بمكتب الاسكندرية وبرع فيه غاليانوس المقدم ذكره كما برع امينوس سكاس في الفلسفة المنتخبة ثم في اوائل القرن الخامس بعد الميلاد الف ثيودوروس برسيان كتابًا في الطب باللسان اليوناني وترجمة الى اللغة اللاتينية وهو (٤) مجلدات الاول في الادوية العامة المسهلة والثاني في ما تعرف به الامراض والثالث في الامراض الخاصة بالنساء والرابع في المجربات الطبيعية وبعد ذلك بنحو نصف قرن الف الحكيم ايسيوس الاميدي في هذا الفن كتابًا انتقى فيه اثر غاليانوس غير انه لم يكن اسير عباراته وكان ايسيوس هذا رئيس الشامسة ورئيس حرس القيصر يوستينيانوس لكن يشم من هذا الكتاب روائح مذهب افلاطون الجديد لان مولفه اقتبس منه ما تعلمه بمكتب الاسكندرية من الاوهام الباطلة الخيالية وكان يقول بتأثير الطلاسم والسحر وبعض اسرار اخرى وقد ذهب بعض المولفين الى ان اعظم قدماء الاطباء بعد بقراط وغاليانوس المذكورين هو اسكندر الترالي صاحب المولفين الشهيرين احدهما في الادوية والثاني رسالة تتعلق بدود الاحشاء لم يتبع فيها من انواع الدلالات الا التجربة والاختبار ثم ظهر في القرن السابع بولس الاجيني فلخص مسائل الطب في مختصر ضمنه كل الانواع وهو مقبول عند الناس لا سيما الجزء السابع منه الذي تكلم فيه على التشريح وهذا الحكيم هو اول من اشتغل من قدماء الاطباء بفن الولادة وفي ايامه ظهر اخر شروح كتاب بقراط

اما الكيميا التي هي فرع من العلوم النظرية لكنها فرع من فروع الطب ايضًا وقد اختلف في تفسير معناها فقال بعضهم معناها المكر والحيلة وقال اخرون غير ذلك فهي عند المتقدمين علم يراد به تحويل المعادن الى بعضها بعض وعلى الخصوص تحويلها الى الذهب بواسطة الاكسير الذي يسمونه حجر الفلاسفة او استنباط دواء لجميع الامراض واما عند المتاخرين فهي صناعة يبحث فيها عن طبيعة وخاصية جميع الاجسام بواسطة الحل والتركيب واصل هذا العلم على ما قيل من مصر وقيل انه كان معروفًا عند اليونان سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد اخذوهُ عن المصريين والفينيقيين لكن اقدم مولف تكلم عنه هو جوليوس ماترينوس فرنيكوس الذي كان في زمن القيصر قسطنطين باني مدينة القسطنطينية سنة ٣٢٢ مسيحية وقال بعض المولفين انه لما كان هذا الفن فرعًا من فروع الطب سرت اليه الاوهام الفاسدة والشعبذات ايضًا وقد بقي من الكتب المولفة وقتئذٍ فيه كتاب للحكيم اسطفان الاسكندراني من اطباء القرن السابع بعد الميلاد يدعي فيه ان له قدرة على عمل الذهب فلا مانع اذًا من ان يقال بان مذهب افلاطون الجديد الذي مرّ ذكرهُ هو اصل اختراع علم الجفر وحجر الفلاسفة يعني الكيميا الكذبة

وكذلك كان للعرب في زمن جاهليتهم اطباء يعالجونهم بنوع من الطب الخشني والمشهور منهم لقمان بن عاد وحذيم وهو رجل من تيم الرباب والحرث بن كلدة وابن ابي دومية التميمي وكانوا غالبًا في العصر الذي ظهر فيه الاسلام ولذلك بقوا معروفين عندهم

وقد اشتهر من كلام لقمان المذكور في هذه الصناعة كل داء حُسِمَ بالكي اخر الامر ولذلك يقال في امثالهم اخر الطب الكي ومن انواع معالجاتهم ايضًا معالجة الاصول بادامة النظر الى حجر الرحى في دورانه يزعمون بان العين تستقيم به واما الجنون الخدر وهو تشنج يعتري الاعضاء فلا يطيق الحركة بان يدعوا صاحبه باسم احب الناس اليه وعليه قول بعضهم

اذا خدرت له رجل دعاك
الى كم تهجرين فتى معنّى

ثم لما ظهر الاسلام واستولى اصحابه على الملك استخدم الخلفاء من بني امية وبني العباس جماعة كانوا بارعين في هذا الفن من اليهود والنصارى استنادًا على ما ورد في الحديث استعينوا على كل صنعةٍ بصالح اهلها ويقال ان في زمن صاحب الشريعة الاسلامية كان الحرث بن كلدة المذكور ساكنًا في المدينة فارسل اليه سعد بن ابي وقاص وهو احد الصحابة يستوصفه في مرضٍ نزل به فدل ذلك عندهم على انه جائز ان يشاور اهل الكفر في الطب اذا كانوا من اهله فكان عند عمر بن عبد العزيز الاموي جويه طبيبًا وكان من اليهود وبختيشوع كان رئيس الاطباء عند ابي العباس عبد الله السفاح العباسي وجبرائيل ابنه عند ابي جعفر المنصور ويوحنا بن ماسويه وكان طبيبًا بارعًا عند هرون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين المشار اليهم ومن مولفاته في الطب كتاب البرهان وكتاب البصيرة وكتاب الحميات وكتاب الفصد والحجامة وكتاب الجذام وكتاب الاغذية وكتاب المعدة وكتاب في الادوية المسهلة ثم ان ابا زيد حنين ابن اسحق العبادي الطبيب المشهور تلميذ يوحنا بن ماسويه المذكور كان ايضًا امام وقته في هذه الصناعة والف في زمن الخليفة المامون بن هرون الرشيد مولفاتٍ مفيدة منها كتاب في الاغذية وكتاب في تدبير الناقهين وكتاب في الادوية المسهلة وفي محيط المحيط ان حنين ابن اسحق الاسرائيلي كان من اجل علماء الطب في عصره وضع كتابًا في هذه الصناعة نظرًا وعملًا وجعله على طريق السوال والجواب ولذلك يقال له كتاب مسائل حنين واتى بعدهُ ابن اخته وتلميذهُ حبيش بن الاعسم بن الحسن فزاد فيه زيادات مهمة ثم انتدب لشرحه الشيخ عبد الرحمن بن احمد بن ابي صادق النيسابوري فشرحه شرحًا مستوفيًا في مجلدين كبيرين وهو من عمد كتب الطب العربية وكثيرون غير من ذكرنا من الاطباء الذين استوصوا على خدمة صحة الخلفاء الاسلاميين فاذًا يضلُّ كثيرًا كل الذين يزعمون بان الدين الاسلامي ينهي عن الاستئمان لمن كان على غير الاسلام بعد ان عرفنا بان الخلفاء المشار اليهم كانوا يستامنونهم على ارواحهم مع انهم كانوا في صدر الاسلام ومبادي ظهور الدين فكيف لا يستامنونهم على ما هو دون ذلك ومن كلامهم كل شيء دون المنية سهل واما ما يستند اليه المتوهمون في هذا الامر فانما هو ناشيء عن بعض خصالٍ لا زالت متمكنة من طباع كثيرين من الطوائف الشرقية لا زالوا حتى الان لم يعرفوا حقوق الاخوة الوطنية بالتمام. ولنرجع الى سياق الحديث ثم لما ترجم العرب ما ترجموهُ من الكتب اليونانية القديمة في مبادي الدولة العباسية ترجموا ايضًا كتب بقراط وجالينوس وغيرهما من الاطباء والكيماويين بما هي عليه من تلك الاوهام والشعبذات التي اشرنا اليها وانكب القوم على مطالعتها وسلك المولفون وفحول الاطباء من المسلمين على موجبها كالشيخ ابي بكر محمد بن زكريا الرازي الذي كان ماهرًا في فن الطب والمنطق والهندسة والموسيقى وصار رئيس الاطباء في بيت الشفاء ببغداد وبعد ان دبر مرستان الريّ وكان اخذ الطب عن الحكيم ابي الحسن بن

زبن الطبري الذي يقال عنهُ بانهُ كان نصرانيًا واسلم وهو صاحب كتاب فردوس الحكمة وقد صنف الرازي المذكور كتبًا كثيرة في الطب من جملتها كتاب الحاوي وهو نحو (٣٠) مجلدًا جمعهُ من صحف متفرقة كان اخذها جالينوس الذي تقدم ذكرهُ عن اثار داثرة من كلام بقراط الذي هو اول من كتب في صناعة الطب على ما اشرنا في ما سبق ولذلك يقال بان الطب كان معدومًا فاوجدهُ بقراط وكان ميتًا فاحياه جالينوس وكان متفرقًا فجمعهُ الرازي وكان ناقصًا فكملهُ ابن سينا البخاري الذي فاق كل من تقدمهُ ولذلك يلقبونهُ بالشيخ الرئيس ومن مولفاتهِ في الطب كتاب الاوسط الذي كان الفهُ في جرجان ثم الف كتاب القانون وكتاب الشفاء والنجاة والاشارات توفي سنة ٤٢٨ للهجرة (سنة ١٠٣٦ مسيحية) وبعدهُ ظهر ابو علي يحيى بن عيسى بن خزلة صاحب كتاب المنهاج الذي رتبهُ على الحروف وجمع فيهِ اسماء الحشائش والعقاقير والادوية ويقال بانهُ كان نصرانيًا واسلم توفي سنة ٤٩٣ للهجرة (سنة ١٠٩٩ مسيحية) ثم ظهر بعدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي والف كتابًا في الادوية المفردة توفي سنة ٥٢٩ للهجرة (سنة ١١٣٤ مسيحية) وبعدهُ ظهر الامام فخر الدين الرازي ابو عبد الله محمد بن عمر التميمي البكري الطبرستاني الذي فاق اهل زمانهِ في علم الكلام والمعقولات وعلم الاوايل ولهُ التصانيف المعتبرة في فنون عديدة منها في الطب شرح الكليات للقانون وشرح الاشارات لابن سينا في الحكمة وغير ذلك مما يطول شرحهُ ومن نظمهِ

المرء ما دام حيًّا يستهان بهِ
ويعظم الرزء فيهِ حين يفتقد

واخيرًا توفي بمدينة هرات سنة ٦٠٦ للهجرة (سنة ١٢٠٩ مسيحية) وغيرهم كثيرون اضربنا عن ذكرهم خوف الاطالة وكانت الكتب التي الفها هولاء الافاضل في الطب كثيرًا ما تشتمل على فنون متعددة من هذه الصناعة كالبيطرة وهي طب الخيل والزردقة وهي طب الطيور وقد يتعرضون فيها ايضًا لشيء من البزدرة وهي صناعة الغرس واوقات الفلاحة وكثيرون منهم يضمون اليها ايضًا علم الطبيعيات لعلاقة بينهُ وبين الطب في الاحكام المزاجية وغيرها وعلم النجوم لتاثير الاجرام العلوية في الابدان على ما ذكرنا في ما تقدم وعلم الموسيقى لمعاضدتهِ في احكام النبض ويحكى ان الشيخ ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الذي سبق ذكرهُ صنف كتابًا لابي صالح منصور بن نصر الساماني في اثبات صناعة الكيميا فقال لهُ منصور كل ما احتجت اليهِ من الالات احضرهُ لك كاملاً حتى تخرج ما ضمنتهُ كتابك الى العمل فلما عجز عن عملهِ قال لهُ منصور ما اعتقدت ان حكيمًا يرضى بتخليد الكذب في كتبٍ ينسبها الى الحكمة ثم حمل السوط على راسهِ وامر ان يضرب بالكتاب على راسهِ الى ان ينقطع فكان ذلك سبب نزول الماء في عينيهِ ثم توفي سنة ٣٢٠ للهجرة (سنة ٩٣٢ مسيحية)

ولما كانت العرب تولف هذه المولفات العظيمة وتتدارس العلوم الهندسية والفلكية والطبية والكيماوية والنباتات وعلم المنطق وماوراء الطبيعيات وتشتغل في التقطير وصناعة التخمير وتشكيل الاواني الكيماوية باشكالٍ يسهل بها التناول وتخترع بعض طرق في علم الكيميا العملي الذي توغلت فيهِ كما توغل اسلافها الذين اخذت هذه العلوم عنهم لاجل عمل الذهب من النحاس والتصدير وباقي المعادن كما اشتغلت بعلم التنجيم الكاذب كانت الافرنج سكان الممالك الغربية التي كان اغار عليها البربر وسلبوها من السلطنة الرومانية في اواخر القرن الرابع بعد الميلاد غارقين في بحور الظلمة المدلهمة حتى انهُ في القرن

العاشر من التاريخ المسيحي انعدمت الآثار الشهيرة من جميع تلك الجهات وصار العلم غريبًا لا مأوى له الا الديورة والمعابد لان البربر كان قد تغلب على جميع الاشياء بل من القرن الثامن الى القرن الحادي عشر ما وجد احد من المصنفين يكون اهلاً لان يُنتفع بقراءة كتابه ثم ولئن كان بعد الحروب الصليبية التي انتشبت من سنة ١٠٩٦ م بقصد استخلاص الاراضي المقدسة بزمن يسير ظهرت تحسينات كثيرة في اوربا واخذ التمدن في الانتشار شيئًا فشيئًا الا ان الطب بنوع خصوصي لم يحصل على شيء من التقدم بل لم يلتفت اليه اصلاً الى نهاية القرن الخامس عشر من الميلاد حتى انه لما استعار الملك لويس الحادي عشر في سنة ١٤٧١ مسيحية من جمعية الطب البشري بمدينة باريس مؤلفات الفخر الرازي الذي مرّ ذكرهُ رهن هذا الملك في نظيرها مقدارًا جسيمًا من امتعته الثمينة ولم يقتنع منه بمجرد ذلك بل طلب منه كفيل بكفالة حتى يردها فقدم لهم بعض الملتزمين ولكن منذ اخترع يوحنا غوتنبرغ الميانسي من بلاد المانيا فن الطباعة في سنة ١٤٣٦ مسيحية اخذت الكتب في الكثرة والانتشار واخذ معها اهالي اوربا في الخروج من ظلمة الجهالة الى عالم الانوار وتفرغوا للعلوم الادبية والفلسفية والرياضية وما فوق الطبيعيات التي كانوا قد انشأوا لها المكاتب والمدارس الكبرى والصغرى وبالجملة فن الطب واكملوا ترتيبها منذ سنة ١٢٢١ م وكانت تحتوي على عدة مدرسين معدين لتعليم كل علم وفن وكان فيها زمن كل علم ميدنًا وكانت تُعمل بها امتحانات لمعرفة تقدمات الطلبة وكل من ظهرت نجابته كوفي بالقاب ومراتب وتشريفات علمية ولا يسعنا المقام لاطالة الكلام على ذلك بالتفصيل غير انه لا بد من ان نبين بان اقليم ايطاليا كان هو القطر الذي اينعت فيه دون غيره من اقطار اوربا اثمار الاداب والفنون في القرن الخامس عشر والسادس عشر وكان سكانه قد حصلوا هذه العلوم من العرب اولاً ثم اتقنوها بواسطة اليونانيين الذين كانوا هاجروا الى بلادهم عندما افتتحت الدولة العلية مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ مسيحية واول فائدة ظهرت من التقدمات الحاصلة في قسم نابلي كانت معارضة يوحنا بك الادبية في علم التنجيم والقول ببطلانه ثم شهد ايضًا مدرسو الطب المهرة وتشذر بان علم الطب تقدم واتسعت دائرته في قسم توسكانا بهمة لورانت الميديشي الذي تولى حكومتها في سنة ١٤٧٢ مسيحية اذ انه قد اعتنى بشان هذا العلم ولم يتساهل قط في ما به يبلغ درجات الكمال في اقرب وقت ولم يهمل ما يكون به تهذيبه وتخليصه من الاوهام الباطلة التي كان مشحونًا بها واما البلاد الفرنساوية فكان علم الطب يدرس فيها اولاً في مجمع باريس الا انه كان قليل التقدم وكان مخلوطًا بالضلالات والاعمال السحرية ولم يكن له مدرسة خصوصية فتجددت له في زمن الملك لويس الحادي عشر الذي تولى المملكة في سنة ١٤٦١ مسيحية مدرسة مخصوصة انشأها في سنة ١٤٧٣ مسيحية قال بعض المولفين وبعد ذلك بسنتين انتشر هذا الفن باستكشاف نافع وهو عملية الحجر التي جربت وظهر نجاحها في بعض الرماة من اهالي مودون وكان قد حكم عليه بالقتل لجناية ارتكبها فنجا من الهلاك مرتين بواسطة هذه التجربة الناجحة انتهى بنصه ومن ثم اعتبرت ممالك اوربا على وجه العموم هذا الفن اعتبارًا زائدًا حتى انه لا يكاد يخلو كرسي مملكة منها من وجود مدرسة كلية معدة لتحصيله وخاصة المدارس الكبرى السلطانية التي هي دواوين الحكماء ومجعولة لحاجة المملكة كما في العواصم الشهيرة فانها هي التي تباشر والحالة هذه الامراض العامة الضرر كالامراض الوبائية والامراض المعدية

وامراض البهائم ومن وظيفة علمائها معالجة كل الاهالي بما تجعله المملكة موقوفاً على النفع العام كتلقيح الجدري وامتحان الادوية الجديدة والادوية المكتومة وامتحان الادوية المعدنية الاصلية او المصطنعة لادخالها في العقاقير والعلماء المدرسون فيها من اشهر علماء الارض واحسن اطباء العالم ولهم اجتماعات في قاعات مخصوصة للخطابات ومراسلات مع نظرائهم في سائر الاقطار وجرائد ينشرون بها الاخبار المتعلقة في صناعتهم فيتساجلون ويتحاورون ويتخابرون ويتباحثون ويولفون لكن لا بقصد الزعم وتاييد الراي المخصوص كما كان اليونان وغيرهم بل لاظهار الحقيقة واتباع الراي الصواب ولهم عزم وثبات على ذلك بحيث لا يكلون ولا يملون من اطالة البحث بل ربما ترك السلف كثيراً من تصوراتهم لفحص الخلف، قيل ان وليم هارفي الطبيب الانكليزي الذي هو اول من عرف حركة دوران الدم في جسم الانسان وكان وقتئذٍ شاباً في سن العشرين اقام نحو (٢٠) سنة وهو يردد هذا الامر في افكاره اعني من سنة ١٦٩٨ الى ان وثق به غاية الوثوق واشهرهُ في سنة ١٧٢٨ مسيحية ولذلك كانت لهم اليد الطولى في الاستكشافات النافعة التي عليها يدور الان محور الاشغال المهمة في العالم فان جلبير طبيب ملكة انكلترا هو اول من اكتشف الكهربائية في سنة ١٤٦٧ مسيحية ثم اخذ العلماء في الاشتغال بها الى ان ظهرت منافعها العظيمة في التلغراف سنة ١٨٤٤م وكذلك بابين الطبيب الفرنساوي فانه شرع في سنة ١٦٩٠ مسيحية بعمل الآلات البخارية ولم تفز بالتمام الّا في سنة ١٨٠٧ مسيحية ولو اردنا تتبع الفوائد التي حصلت للبشر من مثل هولاء الاطباء الماهرين وخاصةً في كيفية ترقيهم في صناعة الطب واتصالهم الى اتقان فن التشريح والكيميا والمولدات الطبيعية وتشخيص الامراض الى غير ذلك من متفرعات هذه الصناعة المختصة بخدمة الصحة العمومية لاحتجنا الى مراجعة مولفات كثيرة ربما لا وجود لها في لغتنا العربية وتاليف كتاب ذي حجم كبير ايضاً كيف لا وكل من اظهر منهم فائدة جديدة غمرته الخيرات ومدت عظماء الملوك اياديها اليه بمزيد العطايا والخيرات وحسبك انه لما عرف الطبيب جنر الانكليزي تطعيم الجدري من البقر واشهرهُ بعد ان جربه وعرف منفعته في سنة ١٧٧٦ مسيحية وقبل سنة ١٨٠٠ انعمت عليه الدولة الانكليزية بمبلغ (٢٠) الف ليرا استرلين مع انه كان قد عرف قبلاً تطعيم الجدري من الجدري نفسه من سنة ١٧١٢ مسيحية وبهذا كفاية عن الاسهاب في هذا الباب ولكن لا يمكن لاحد من اطباء البلاد المتمدنة المذكورة ان يجور على مثل هذه النعم بمجرد حمل العصا بيده والملعقة الفضة الصغيرة لتذويب المناضح في جيبه ولا من كان لم يعلمه ابوهُ الا قراءة كتب الطب فقط ولا من استعار كتاباً من طبيب وطالعه بعض ساعات او مدة من الزمن ثم ردهُ الى صاحبه ولا من ورث الطب عن ابيه او عمه او خاله او حصل عليه بجملة جهاز زوجته ولا من اشتغل فيه على البركة اتكالاً على ثقة الناس واعتقاد المريض به بل ولا من درس بعض فصول منه ثم استنكف من تتميم دروسه لكن لا بد له من ان يتخرج فيه ويتعلمهُ ويتقنه بكل فروعه وانواعه وما يتعلق به في مدرسة كلية يقيم بها الى ان يتم تحصيله وينال شهادةً من اساتذته بعد الامتحان تبقى بيده اجازةً لتعاطي هذه الصناعة بدون معارض والا فتمنعه الحكومة وتحكم بتاديبه فان عندهم التجارة في الاجساد البشرية مكروهة للغاية وهم ساعون في ابطالها حتى من البلاد البربرية فما قولك التاجرة بارواح البشر لمجرد الزعم بانه لا يموت ميت الا بحكم القضاء والقدر وان

الذمة تكون بريئة من اللوم طالما كانت النية سليمة وكان وقوع الضرر على غير قصد الطبيب نعم يسلَّم بذلك ولكن لمن لا يكون في حد ذاته غريبًا عن الطب فان مثل هذا يكون كمن يضرب المريض بالسيف القاطع على عنقه فيقطعها ولكن على غير نية القطع اذ لا فرق بين ضرب المريض بالسيف من خارج وبين اعطائه دواء ربما اهلكه من داخل وعساهُ يقول بان ما اعطاهُ من العلاجات ليس هو بنافع ولا بضار وانما هو ماء مثلاً متغير اللون فقط افلا يكون جوابه انه بعمله هذا يكون قد اشغل مكان الطبيب الخبير وقتل المريض بسيف المرض وانما متى كان عارفًا بعض اللغات التي يحتاج الى معرفتها في تحصيل هذا الفن او اقله اذا كتبت تذكرة علاج بالحروف الافرنجية يكون عارفًا بما يكتب ودارسًا العلوم الطبيعية والكيماوية وعلم النباتات التي منها تحصل المادة الطبية وهو فن يبحث فيه عن الادوية ومنافعها والتشريح الذي منه تحصل معرفة منافع الاعضاء وفن الجراحة الصغرى ويقال لها التشريح الخاص ايضًا وعلم الاربطة والعمليات الجراحية وعلم الباثولوجيا وهو الفن الذي يبحث فيه عن جميع الامراض الباطنة ومراكزها وعلاماتها واسبابها ومنه تحصل معرفة مزاج المريض وما يجب له من العلاج وفن تطبيب ملازم الفراش المبتلى بامراض ظاهرية او بامراض باطنية وفن معالجة النفساء وتوليد الحامل وفن الكيميا العقاقيرية وقانون الصحة الذي منه تحصل معرفة المحافظة على الاجساد البشرية واتقن ذلك جميعه وحصل على الشهادة التي ذكرناها من اساتذته ساغ له حينئذٍ ان يتولى امر المعالجة ويطلب من الله براءة ذمته عند وقوع الغلط استنادًا على سلامة نيته والا فيكون مسئولاً امام الله والناس ولا يمكن ان تغنيه سلامة نيته مع جسارته على معاطاة ما ليس له معرفة كافية فيه حتى ان في البلاد الكبيرة باوربا يخصص الطبيب الحاذق لذاته مداواة مرض واحد يكون بارعًا في معالجته ومختبرًا فيه اكثر من غيره فيكون حكيمًا اما لمداواة خلل العقل او لالم اعضاء التناسل او الحصوة او لخصوص الامراض الجلدية المنفرة وغيرها كالجذام والجرب او لخصوص توليد النساء او لمعالجة البياض الذي يكون في العين او لخصوص الماء الذي يعميها او لاوجاع الصدر او لداء الفالج او لعلاج اختلال في خلقة الانسان يعني فن اصلاح خلل اعضاء الاطفال فان من الحكماء من يصلح خلل الفم او الوجه ومنهم من يشتغل بتدبير الاعضاء الناقصة لسد خللها باعضاء مدبرة، ولكن مع كل ذلك لا يكون لمثل هؤلاء الاطباء نفع وشان الا في البلاد التي تكون صناعة الطب فيها منصورة على اربابها واما البلاد الصغيرة التي يكون كل اهلها اطباء وخاصة جنس النساء فيشتركون مع الطبيب في معالجة مريضهم بل يكون الطبيب طبيبه في الظاهر فقط واما في الباطن فاطباؤهُ هم اهله وزوارهُ الذين يتولون قضية تمييز انواع الادوية والعلاجات الحارة من الباردة والملائمة نظرًا لعادة الوطن من الغير الملائمة نظرًا لكونها قوية حيث انها من صنع الافرنج فيحذفون مما يشير به الطبيب نصفهُ او بعضه او لا يعطونه منه بالاصالة ويغذون المريض سرًّا بالاطعمة التي ينهاهُ عنها الطبيب الظاهري ويعالجونه بعلاجات لا رأي لذلك الطبيب فيها وربما مكروا بالطبيب ايضًا فلا يخبرونه بشيء مما فعلوا او يخبرونه بخلاف الواقع فان معارف ذلك الطبيب مهما كانت بالغة وقوية فتكون في مثل هذه البلاد قاصرة لا نفع فيها واذا اتفق شفاء ذلك المريض فيكون الفضل في ذلك لاطبائه الباطنة واما اذا لم يساعد الاجل ومات فلا يكون موته الا من جهالة طبيبه الظاهري والله اعلم

تاريخ فرنسا

فطالب الروساء الانكليز اليوان يبتدى' بالسلام عليهم بالمدافع فتمنع وجرت مخابرات . ولو سلم لهم بذلك لاركبته حمارًا وجعلته يطوف في الشوارع فان ذلك قصاص اصعب من القتل بآلة القتل . ومن يسليني بقوله انه عند ظهور تصرفنا لا تبقى زاوية من اوربا بدون ان تحكم لنا بصوابيته . وعندما سلمت انكلترا بعقد الصلح ظنت انه سيمزق بعضنا البعض الاخر بالحروب الاهلية اي ان النواد سيلقوننا في الاضطراب وقد افرغوا جهدهم في هذا السبيل غير انهم لم ينجحوا لان كل انسان قد اشتغل بتعويض خسارته ومن المعلوم ان تجديد الحرب بيننا وبينها مما لم يكن عندنا ريب فيه . غير اننا لم نكن نعلم الزمان الذي تتجدد فيه فالاوفق تجديدها في الحال قبل ترجيع تجارتنا البحرية . انتهى

ولما بلغت تلك الحوادث الى المجلس التضامي خطب موسيو فونتن قائلاً ان فرنسا مستعدة لان تحمي نفسها بتلك الجيوش التي فتحت اوربا . اما فرنسا فلا تفتح الحرب غير انها تجيب دعوة غيرها اليها بدون خوف وتعلم ماذا ينبغي ان يجرى لعقدها بنشاط . ولا يخفى ان بلادنا قد رجعت الى ان تكون مركز اوربا المتمدنة . ولذلك لا تقدر انكلترا ان تدعي بما كانت تدعيه من انها آخذة في المحاماة عن مبادي الهيئة الاجتماعية التي لابد منها اذ انها بانت متزلزلة حتى اساساتها . فاذا تجددت الحرب يحق لنا نحن ان نقول ذلك القول . فان امر المحاماة عن حقوق الانسانيـة والامم يكون مسلمًا الينا بواسطة دفع تعديات حكومـة تقيم المخابرات لتتمكن من الخداع وتطلب السلام لتستعـد للحرب وتمضي المعاهدات لتبعدها . فاذا اشير الى فرنسا بان تنهض اشارة واحدة تجتمع باتفاق حول البطل الذي نحبه . حتى ان شان كل الاحزاب التي يحفظها حوله بانتظام يكون المسابقة الى اظهار الغيرة والشجاعة فان الجميع يشعرون بالافتقار الى حذقه ويعترفون بانه هو وحدهُ قادر على احتمال عظمة احوالنا الجديدة . انتهى

وكان الدوق دوكانيا احد روساء مشورة بونابرت وقد قال في تاريخه الجميل ان بونابرت افرغ كل الجهد في سبيل ترقية اسباب السلام وان الدول المتحدة كانت تشيع بانه هو الذي كان يحرك الحروب وانها كانت تحاول ان تثلم صيت بونابرت . انتهى . هذا ولا ريب في ان بونابرت كان يرغب اشد الرغبة منذ تقلد زمام السلطان في عقد الصلح مع انكلترا غير انه لم ينجح في ذلك . وبينما كان في وسط المخابرات التي كان يومل بانها تكون واسطـة لتثبيت السلام قال مستر دونداس وزير خارجية انكلترا لمامور فرنسا موسيو اوتو ان ملك انكلترا كان قد صمم على تجديد الامر باسر سفن الصيد الفرنساوية وتكسيرها واسر ملاحيها . ولما سمع القنصل الاول وهو بونابرت بذلك امر سفير فرنسا بالخروج من لوندرا وبان يرسل الى الحكومة الانكليزية التحرير الاتية ترجمته قبل خروجه منها وهي

انني قد ارسلت الى حكومتي قرار وزير انكلترا المتعلق بمطاردة الصيادين الفرنساويين واسرهم وقد صار اسر سفن وقوارب كثيرة بناء على ذلك القرار وقد راى القنصل الاول انه لا بد من ان تكون الحرب الجارية حربًا شديدة الانتقام بسبب هذا القرار الصادر من الحكومة الانكليزية المخالف لعادات الامم المتمدنة وللنظامات الخاضعة لها حتى في زمان الحرب وانه لابد من ان يشدد الغيظ والهيجان تشديدًا ليس له مثيل وان يبعد زمان السلام ولذلك لا اقدر ان ابقى في بلاد ليس فيها ميل الى الصلح بل فيها

التعدي على قوانين الحروب وعرفها واحتقارها وقد وردت اوامر اليَّ بناء على ذلك بان اخرج من انكلترا اذ انني لا ارى فائدة من اطالة القيام بها . وقد أُمرت بان اقول ان الحكومة الفرنساوية قد اظهرت رغبتها الدائمة في ترقية اسباب السلام وان مبداها تقليل ويلات الحروب على قدر الامكان ولذلك لا تقدر ان تسلم بان تجعل الصيادين المساكين عرضة ويلات العدوان . وهذا هو الذي يحملها على التمنع عن ان تاخذ ثارها بمعاملة الصيادين الانكليز كما تعامل انكلترا الصيادين الفرنساويين وبناء على ذلك قد امرت بوارجها الفرنساوية بان تستمر على عدم معارضة الصيادين في شيء . انتهى

وفي ٢٠ ايار اعلن بونابرت انكار صلح اميين بالاعلان الآتية ترجمته وهي قد التزمنا ان نحارب لدفع عدوان وسنقوم بالحرب بالجد . واذا كان ملك انكلترا قد صمم على ان يبقي انكلترا في حالة الحرب الى ان تعترف فرنسا بانه يحق له ان يحافظ على المعاهدات او ينقضها وان يهين الحكومة الفرنساوية بالكتابات الرسمية والخصوصية بدون ان يسمح لنا بان نشكى لا سبيل لنا الا ان نندب سوء حظ الانسانية . ولا ريب في اننا نحب ان نخلف لاولادنا الاسم الفرنساوي بدون ان يكون مثلوماً ولا معاوب الناموس . وفي كل حال لا بد من ان نترك لانكلترا الابتداء في كلما من شانه التعدي على استقلال الامم وسلامها واهانتها وسنبرهن لها بتصرفاتنا والابتعاد عن التطلبات الطمعية واثننا فان هذا وحدهُ ضمانة سلام الهيئة الاجتماعية والسعادة العمومية . انتهى

وقد قال بونابرت بخصوص هذا التعدي الذي جرى بدون سبب انني في السنين الاربع الماضية جعلت اتحاداً بين كل الاحزاب التي طرحت فرنسا في الشقاق قبل ان قبضت على زمام السلطان . فقفلت دفاتر المهاجرين بعد ان فتحته ثم محوت بعض اسمائه ثم منحت حقوقاً لجميع الذين كانوا يرغبون في الرجوع الى فرنسا بلادهم وارجعت لهم كل املاكهم التي كانت لا تزال موجودة بدون بيع خلا الغابات وعينت القوانين لهم مداخيلها . ولم يبقَ بين المهاجرين غير بعض الذين لهم خدمة خصوصية متعلقة بنفس امراء العائلة البوربونية وهم الذين لم يقبلوا بان ينفعوا انفسهم بالعفو العام . ورجع الوف من المهاجرين الى فرنسا ولم يحتملوا شيئاً من الاثقال وصار الاكتفاء بحلفهم يمين الامانة للجمهورية . واصلح ذلك الاعمال العمومية غير انه نتج عن تلك القوانين تشرط اعداء الحكومة القنصلية والحزب الملكي واعداء الاجانب لانها موسسة على الحلم . انتهى

وعندما تقلد بونابرت زمام الرياسة رفضت الحكومة الانكليزية ما عرضة عليها من الصلح باهانة وبعد ذلك التزمت ان تصالحه مترددة بسبب تذمرات العامة الانكليزية التي كانت ترغب فيه . غير انها كانت تترصد سنوح الفرصة لتجديد الحرب فتعدت على اهم شروط معاهدة اميين واسرت مائتي مركب انكليزي فيها ٧٥ مليون فرنك وشرعت في تخريب التجارة الفرنساوية قبل وصول اعلان اشهار الحرب الى باريز . ولم تكتف بذلك ولكنها ارادت ان تثلم صيت ذلك الرجل الذي كان قد شجع اهالي بلاده الى الدفاع عن انفسهم فملات العالم بصراخها وتذمراتها وهي تقول ان طمع بونابرت الغير المحدود وظماهُ الى سفك الدماء حملاه على فتح الحرب . وما من انسان يقدر ان يتجاوز حدود الاعتدال في لوم الذين يقومون باعمال كهذه الاعمال

الفصل الرابع والعشرون

معسكر بولون

ان المورخين العادلين قد اجمعوا على ان التعدي

على صلح اميينز كان باجراات الحكومة الانكليزية . ولم يكن بونابرت يامل بالحصول على منفعة من الحرب مع انهُ كان يخافها من جميع الاوجه . ولم يكن يقدر ان يدنو من عدوهِ القوي الا بواسطة قطع البحر والهجوم على انكلترا . وكان يعلم هو وكل العالم ان القيام بذلك انما هو طرح الانسان نفسهُ في مخاطر كثيرة وقد قال انهُ عالم بذلك . وكانت انكلترا سيدة البحار بدون ريب ولم تكن قوة بحرية قادرة على الدنو من بوارجها . ولذلك كانت تقدر ان تضر فرنسا من كل الجوانب وان تكسر مراكبها التجارية في جميع الاماكن وتحصر تجارة كل الجهات في يدها . وهكذا نرى ان تلك الحرب لم تكن تخلو من الفائدة لها فانها كانت تفتح لها بابًا لتعطيل تجارة امة مناظرة طالما خافت مناظرتها فان مديرها في سبيل السلطان والنفوذ اوقع الانكليز في خوف من نجاحها وفوزها . ولذلك نقول انهُ لو لم ترَ وزارة انكلترا بان لها مصلحة عظيمة في تجديد الحرب لما فتحتها . غير ان الجنس البشري احتمل ويلات قيام مصلحتها فانها [illegible] المعاهدة وحافظت على ملكية مالطة مع انها كانت قد وعدت بالخروج منها وجددت الهجوم على فرنسا . وقبل اشهار الحرب بزمن قصير كتب بونابرت الى المجلس التشاوري الفرنساوي قائلاً ان في انكلترا حزبين يتنازعان السلطان فاحدهما عند صلحًا والثاني يبغض فرنسا بغضًا شديدًا وهذا هو سبب عدم ثبات الامور فتارة نصادف معاملة سلمية وطورًا تهديدات . ففي هذه الاحوال لابد من ان نستخدم وسائط تحمل الحكومة الجمهورية على استعمالها وهي جمع خمسمائة الف رجل للمحافظة على الوطن ومنع الاهانات وتجمعهم وهذا من الامور الغريبة فان المطامع التجارية تلزم امتين بان تقوما بحرب مهلكة مع انهُ من الواجب ان تكونا محافظتين على السلام والحب اجابة لدواعي اتفاق الصوالح والمآرب . غير انهُ من الموافق ان نعلق املنا بما هو اوفق لعلنا نسمع من وزارة انكلترا ما يوافق الحكمة والانسانية . انتهى

ومن المعلوم ان مستر فوكس كان من عظماء رجال انكلترا وكان من اعضاء المجلس العالي وصديق بونابرت ففي اثناء الصلح اتى باريز فسار الى قاعة لوفر وهي مكان عرض النفائس وكان مع بونابرت وغيره من القوم فاخذ في ان يتفرج على كرة عليها رسم الارض وكان حجمها كبيرًا حتى انهُ لم يكن في العالم اكبر منها . فقال احد الحاضرين انظروا ما اصغر المكان الذي فيهِ رسم بلاد الانكليز على تلك الكرة . فقال مستر فوكس وهو يدنو من الكرة ويحاول ان يضمها بذراعيهِ ان انكلترا جزيرة صغيرة ولكنها تحيط العالم بسلطانها . انتهى . ولا يخفى ان مستر فوكس لم يكن يفتخر بالباطل حينئذٍ فان املاك انكلترا كانت ممتدة في كل مكان فكانت في اسبانيا وفي البحر المتوسط وجزائر الهند الغربية والشرقية وفي اسيا وافريقية وامركا وفي جزائر تكاد لا تحصى . حتى ان رومية في اعظم ايامها لم تملك ما ملكتهُ انكلترا . حتى ان بونابرت كان يستصغر تشكيل امبراطورية عظيمة كانكلترا من جمهورية فرنسا الحديثة وعلى الخصوص عندما كانت تقول ان فرنسا طرحت العالم في خطر من مطامعها التي كانت تحملها على محاربة دول اوربا المضادة لها وذلك لانها حصلت على نفوذ سلطان في بيدمون وفي الجمهورية السيسالبين وفي دوقية بارما الضعيفة وجعلت جزيرة البا مستعمرة لها . ولما كان بونابرت يجادلها ببراهينهِ لم تكن تقدر ان تجيبهُ الا باصوات مدافع بوارجها فان براهينهُ كانت قاطعة وعادلة ولم يكن العدل يوافقها . وما ياتي هو فحوى جدالها فالاعتراض الاول على بونابرت هو انهُ قد جلس على عرش ملك البوربون المنفيين . فكان بونابرت يجيب ان ملككم جالس على عرش

السنوارت المتفيين . فجواب انكلترا ان بونابرت لم يكتف بذلك فانه قد ضم اليه رياسة جمهورية السيساليين . فجواب بونابرت ان ملك انكلترا هو رئيس هانوفر . فعند ذلك تقول انكلترا ان جيوش فرنسا في سويسرا . فيجيب بونابرت ان جيوشكم في اسبانيا وقد تحصنوا في جبل طارق . فتقول انكلترا انكم من اهل المطامع وقد شرعتم في انشاء مستعمرات فيجيب ان لنا مستعمرة واحدة ولكم عشر مستعمرات . فتقول انه مقرر عندنا انكم راغبون في ضم مصر اليكم . فيجيب انكم قد ضممتم اليكم الهند . فعندما ترى انكلترا انه اقوى منها بالجدال يشتد غيظها وتدعو رئيس بوارجها قائلة يا نلسون هلم اذهب بالبوارج وتدعو قائد جيوشها وتقول له يا ولنكتون سر في الجيش فلا بد من دوس هذا الرجل (اي بونابرت) فان مطامعه قد طرحت حرية العالم في خطر ، حتى ان بعض المورخين الانكليز كانوا يكتبون بان بونابرت المختلس الملك قد اغرق اواسط اوربا بطوفان من الدماء بتعدياته وتحديه

هنا وعند خروج سفير انكلترا من باريز وقبل خروج سفير فرنسا من لوندرا شرعت انكلترا في الهجوم على فرنسا بدون اشهار الحرب بالاعلان الاعتيادي . وكانت مراكب فرنسا التجارية غير مترصدة حلول ذلك الخطار ولذلك كانت مشحونة بالبضائع الثمينة وسائرة في اكثر الاماكن فاسرتها بوارج سلطانة البحر التي لا تغلب حتى وهي في نفس موانئ انكلترا . وهاجمت بارجتين فرنساويتين واسرتها . فهذه الاخبار المكدرة كانت الواسطة التي بلغت بونابرت خبر فتح الحرب . فلما سمع بها اشتد غيظه وبادر الى اخذ الثار واجرى عملاً يحسب من اشد الاعمال صرامة ومع ذلك لا يقال انه كان دون عمل انكلترا التي ابتدات في التعدي فانه في نصف الليل دعا اليه وزير الضابطة وامرهُ بان يلقي القبض على كل رجل انكليزي في فرنسا سنه بين ١٨ و ٦٠ سنة . وامر بان تصير المحافظة عليهم في الاسر مقابلة للاسرى الذين اسرتهم انكلترا من الفرنساويين في البحر . فلما بلغ هذا الخبر انكلترا وانتشر فيها اقيمت احزان لا توصف في بيوت كانت تعيش بالراحة والسلام فان الوفاً من السياح الانكليز كانوا قد خرجوا من بلادهم للسفر في فرنسا اذ انهم لم يكونوا يترصدون وقوع الحرب بعد عقد الصلح بزمان قصير . فهذه هي ويلات تلك الحرب المهلكة التي باث العالم الاوربي فيها بعد ان ارتاح برهة قصيرة . ومن الموكد ان لسان الانسان يقصر عن وصف الاحزان التي حلت في قلوب الوف من بيوت الانكليز عند بلوغ هذا الخبر الى عيال الماسورين فان اكثر اولئك السياح كانوا من اهل التهذيب والمعارف فمنهم من كان زوجاً ومنهم اخاً او اباً او ابناً وكان سفرهم طلباً للتنزه والتفرج وبقي اولئك المنكودو الحظ ١٢ سنة في الاسر فهلك كثيرون منهم في اسرهم حتى ان اولاداً كثيرين صاروا رجالاً في انكلترا لا يعرفون اباءهم الذين اسروا وهم صغار وكم من امراة لم تكن تعلم هل زوجها حي او ميت وكم من فتاة صبرت على فراق اب او شقيق او محب او زوج الى ان انقطعت حبال اصطبارها فوقعت في الياس وماتت وهي تتحسر وتتنهد . وكذلك باث كثيرون من رجال فرنسا في اسر الانكليز وما قلناهُ عن اولئك يصح في هولاء اما الويل الذي وقع في الشواطي فهو ما يصعب وصفه وكل هذا الويل والهوان نتيجة تلك الحرب المقلقة . فوقوع الشدائد كان على الابرياء . ولا يخفى ان الانسان لا يقدر ان يتصور هذه الاعمال المضافة الى ويلات القتال بدون ان يئن ويضطرب

ستاتي بقيتها

الهيام في فتوح الشام

(من قلم سليم افندي البستاني تابع الاجزاء السابقة)

قائلاً اعلموا ان الملك يعول عليكم اذا انكسرتم ولا تقوم بعدها لكم قائمة ابداً وتملك العرب بلادكم وتسبي نساءكم وعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا ان كل ثلثة منا بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم. انتهى. وقد ذكر في اشهر تواريخ العرب ان ضراراً سار بامر خالد بن الوليد القائد العام ليحذر الرومان وينذرهم واوصاهُ بان لا يلقي بنفسهِ الى التهلكة وانهُ لما راهُ قائد الرومان بعث بثلثين فارساً لياسروهُ فقاتلهم جميعهم بعد ان استكثر وقتل منهم تسعة عشر فارساً ونجا. ومع ان مورخي هذا العصر لا يسلمون بصحة ذلك ولا سيما اذا لم يكن بين المتقاتلين تفاوت عظيم في القوة من جرى اتقان الاسلحة او اختلاف المركز او الفرق العظيم في حسن الادارة والتدبير فقد تقرر في كتب العرب بشهادات قوم افاضل وهو مقبول عندهم. وبعد ذلك رتب خالد القائد العام الجيش وقسمهُ الى ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وجعل في القلب معاذ بن جبل وفي الميمنة عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وفي الميسرة سعيد بن عامر وفي الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفي الساقة يزيد بن ابي سفيان في اربعة الاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد. ولم يحرم خالد النساء المشهورات بالشجاعة من استماع خطابهِ التحريضي المخصوص بهنَّ اذ انهُ لما راى ان لهنَّ يداً في الحرب جعل مساواة بينهنَّ وبين الرجال في التحريض فالتفت الى النسوة واخصهنَّ عفرة بنت غفار الحميرية وام ابان ابنة عتبة وكانت عروساً قد تزوج بها في ذلك اليوم ابان بن سعيد بن العاص والخضاب في يدها والعطر في راسها وخولة بنت الازور المشهورة وغيرهنَّ من اللواتي عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهنَّ خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتنَّ فعلاً ارضيتنَّ بهِ الله تعالى والمسلمين وقد بقي لكنَّ الذكر الجميل وهذه ابواب الجنة وقد فتحت لكنَّ وابواب النار قد اغلقت عنكنَّ وفتحت لاعدائكنَّ واعلمنَ اني واثق بكنَّ فان حملت طائفة من الرومان عليكنَّ فقاتلنَ عن انفسكنَّ وان رايتنَّ احداً من المسلمين قد ولى هارباً فدونكنَّ واياهُ بالاعمدة وارمينَ عليهِ بوالدهِ وقلنَ لهُ الى اين تولي عن اهلك ومالك وولدك وحريمك فانكنَّ ترضين بذلك الله تعالى. انتهى. فاجابتهُ عفرة بنت غفار قائلة ايها الامير والله لا نفرح الا اذا متنا امامك فلنضربنَّ وجوه الرومان ولنقاتلنَّ الى ان لا يبقى لنا عين تطرف والله ما نبالي اذا رمينا الرومان كلهُ. انتهى. فجازاهنَّ خيراً وعاد الى الصفوف. ومامن شيء يدل على نجاح العرب باتباع الطرق التي تودي اليها الحاسيات الطبيعية المنقطعة عن كل تصنع وتكلف اكثر من ذلك فانهُ جعل اعز شيء عند الانسان بالفطرة حاجزاً لمنع الجبناء عن الفرار. ومن المعلوم انهُ لما راى خالد من انتظام جيش الرومان ما كان قد راى وتيقن كثرتهم واتقان اسلحتهم ودراية قوادهم حسب لقوتهم وخاف من ان يداخل قومهُ الخوف منهم فخاطبهم ثانية محرضاً على القتال والثبات وهذا نص خطابهِ يا معاشر المسلمين انصروا الله ينصركم وقاتلوا في سبيل الله واحتسبوا نفوسكم في

سبيل الله ولا تحملوا حتى امركم بالحملة ولتكن السهام اذا خرجت من اكباد القسي كانها من قوس واحد فاذا تلاصقت السهام رشقًا كالجراد لم يخلُ ان يكون منها سهم صائب واجروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا بعد هذا عدوًا كمثله وان هذه الفيئة جماتهم وابطالهم وملوكهم فجردوا السيوف واوتروا القسي وفوقوا السهام. انتهى. ثم وقف خالد في القلب وزحف جيش العرب فزحف جيش الرومان فترامى الجمعان وتلاقى الفريقان وكثر الضجيج وبرز شيخ كبير من الرومان وقال لخالد انه متعهد باعطاء كل عربي دينارًا وثوبًا وعمامة وباعطاء خالد بن الوليد مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة فرفض خالد باستهزاء هذه العطية وتوعده بتملك بلاده فرجع الشيخ الروماني واخبر وردان القائد الاول عن ذلك. فحمل وردان بقومه على العرب فلما راهم معاذ بن جبل قائد قلب جيش العرب هاجت فيه الحمية ولم يقدر ان يضبط نفسه عن اصدار امره بالحمل فصاح قائلاً يا معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد اقبلت والحور العين قد تزينت للقائكم فابشروا بالجنة السرمدية ثم قرا اية. اما خالد فقال له مهلاً يا معاذ حتى اوصي الناس. وكانت عامة العرب في تلك الايام في الغالب تومن بكلما يقال لها انه من قواعد دينها اذا كان القائد من اهل اركانها وهي كذلك في هذه الايام مع عامة اديان اخرى وما كانوا عليه في تلك الايام كان كما كان عليه الافرنج في عصر الصليبيين عندما نفخ فيهم بوق الغيرة الدينية فترامو في سواحل الشرق وفتحوا وهلكت كرات منهم فيها. وبعد ان سكت معاذ مشى خالد في الصفوف ورتبها وقال اعلموا ان هولاء اضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة نرزق فيها النصر واياكم ان تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ارجعوا على بركات الله تعالى. فلما تقارب الجمعان رمى الرومان سهامهم رمية واحدة فقتلوا رجالاً وجرحوا اناسًا من العرب. وكان خالد يمنع العرب عن الحمل. فطلب اليه ضرار ان يسمح له بذلك فخرج لابسًا درعًا وخوذة وغيرها من الملابس الرومانية التي سلبها واخفى نفسه بها. وقد تقرر في كتب العرب انه قتل في تلك الحملة الواحدة عشرون فارسًا في ساعة وقد شهد عوف النجبي انه عد له ثلثين فارسًا ورجلاً في حملة واحدة وانه عندما رمى بالخوذة عن راسه واظهر نفسه وعرفه الرومان تقهقروا خوفًا منه فطمع فيهم ثم انطبقوا عليه ولكنهم لم يقدروا ان يقتلوهُ والحاصل انه استمر القتال الى العصر وعند ذلك افترق الجيشان بعد قتال شديد. وقد ذكر في كتب العرب انه قتل من الرومان ثلثة الاف جندي وعشرة من عظماء الرجال والحكام الكبار. وان وردان اخذ يلوم قومه على عدم تمكنهم من غلبة العدو وقال لهم ماذا تقولون في هولاء العرب فاني اراهم غالبين علينا وقد رايت اسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وان القوم اطوع منكم لربهم وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادي منكم الا ان تتوبوا الى ربكم فان فعلتم ذلك رجوت لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فاذنوا بحرب من المسيح وبهلاك انفسكم فان الله عاقبكم اشد عقوبة اذا سلط عليكم اقوامًا لا نفكر بهم ولا نعدهم لان اكثرهم جياع وعبيد وعراة ومساكين اخرجهم الينا قحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والان قد اكلوا من خبز بلادنا واثمار ارضنا واكلوا العسل والتين والعنب واعظم ذلك سبي نسائكم واموالكم. انتهى. فوعدهُ القوم بالصبر على الحرب. وبعد ذلك عقد وردان القائد مشورة فقال له احد رجال دولته اعلم انك قد بليت بقوم لا تمام لقتالهم وقد رايت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من احد ولا

يرجع حتى يقتل منهم وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم سار الى الجنة ومن قتل من الرومان سار الى النار والموت والحيوة عندهم سواء وما ارى لكم من القوم مطمعاً الا ان نحتال على صاحبهم فنقتله فان قتلتموهُ ينهزم القوم وانك لا تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها . وبعد المفاوضة صمموا على ان يطلب وردان الى خالد بن الوليد ان يوافيه الى مكان متوسط بين الجيشين ليكلمه بخصوص حجب دماء العباد وانه عندما يختلي به يصيح بقوم من الفرسان يجعلهم كميناً في مكان قريب من محل اجتماعهم فيهجمون على خالد بن الوليد وهو وحدهُ مجتمع بوردان فيقتلونه ويكون قتله واسطة لانكسار العرب . فارتضى وردان بذلك وسر به والظاهر انه كان يجهل ان عند العرب قواداً كثيرين فان قتلوا القائد الاول يخلفه ابو عبيدة الذي كان قائداً اول قبل مجيء خالد بن الوليد من العراق وهو الذي فتح فلسطين . فدعا وردان اليه احد العرب المتنصرة واسمه داود وقال له انا اعلم انك فصيح اللسان واني اريد ان تخرج الى هولاء العرب وتسالهم ان يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا يخرجون لنا بكرة النهار حتى اخرج بنفسي اليهم منفرداً عن قومي لعلنا نصطلح معهم . وبعد ان تفاوضا برهة اطلعه وردان على المقصود من ذلك وبين له مكان الكمين وتصميمه على ان يغدر بخالد بن الوليد قائد العرب بامل انكسارهم بعد قتله . فسار ونادى العرب وطلب خروج اميرهم اليه ليكلمه فخرج خالد وقال له ادر مسئلتك واستعمل الصدق فمن صدق نجا ومن كذب هلك . فقال صدقت يا عربي ان اميرنا وردان كاره سفك الدماء وقد نظر حربكم ولا يريد حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره ان يحاربكم وقد راى ان يدفع لكم مالاً ويحقن به دماء الناس لكن بشرط ان يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك انك لا تتعرض له ولا لاحد من اصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسال ان تقطع الحرب بقية يومك فاذا اصبحت اخرج بنفسك ولا يكون معك احد ويخرج هو ايضاً منفرداً فتنظران ما تتفقان عليه عسى ان تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم . فقال خالد له ان كان قائدكم يريد بذلك حيلة او مكيدة فنحن جرثومة الخداع وما مثلنا يوتى بحيلة ولا بخديعة . فلما رجع داود عن خالد قاصداً وردان ردد في فكره كلام خالد الذي ذكرناهُ وغيرهُ بخصوص قرب استيلاء العرب على البلاد السورية وعدم ارتضائهم الا بالجزية فقال الاوفق ان اصدق امير العرب وآخذ لي ولاهلي منه اماناً . فرجع الى خالد وقال له يا امير اني قد اضمرت على سرٍ واريد ان ابديه لك لاني اعلم ان البلاد لكم فان وردان قد نوى على شيء فاحذرهُ . فاخبر داود بالواقع وبما كان قد صمم وردان عليه من قتله بواسطة مكيدة وكمين . فقال خالد لداود الامان لك ولاهلك ولاولادك ان انت لم تخبر القوم ولم تغدر . فاخبرهُ عن مكان الكمين ورجع الى وردان ليخبرهُ بان خالداً قد اجاب طلبه . ففرح وردان بنجاحه في هذه المكيدة ودعا اليه عشرة من ابطال الرومان وارسلهم ليكمنوا . وفي الصباح خرج رجل وطلب امير العرب ليقابل وردان قائدهم . فخرج خالد والتقيا في المكان المعين وجلسا . فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل الصدق والزم طريق الحق واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقل ما تريد . فقال يا خالد اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب مني شيئاً فلا نبخل به عليك صدقة منا عليكم لانه ليس عندنا امة اضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم في بلاد قحط وجوع تموتون جوعاً فاقنع منا بالقليل وارحل

عنا. فلما سمع خالد منه ذلك اغتاظ وشتمه وبين له ان بلاد الرومان ومالهم في لهم وانه لا بد اما من الحرب واما من دفع الجزية. فتشاتما ونهض وردان بدون ان يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا. وعند ذلك صاح وردان مولولاً ان الذين كانوا كامنين من الرومان وعددهم عشرة فرسان يبادرون الى نجدته ويقتلون خالدًا وهو منفرد قبل ان يتمكن قومه من نجدته وتخليصه. وقبل ان اتم الكلام راى قومًا من الفرسان قادمين فظن انهم قومه الذين كانوا كامنين ليهجموا على خالد بن الوليد وهو منفرد ويقتلوهُ بامل انكسار العرب بعد فقد قائدهم. على انهم لما اقتربوا وراى وردان انهم من اعدائهم تحير واضطرب حتى انه كاد يغيب عن الصواب وعلى الخصوص لما راى ضرارًا في مقدمتهم. فطلب الى خالد ان يقتله هو لئلا يموت بيد ضرار وكان الرومان يسمونه شيطانًا ويخافونه. فلما دنا ضرار منه هز سيفه في وجهه وهم ان يقتله وكذلك الباقون غير ان خالدًا امرهم بان يبقوا عليه برهة. هذا وقد قلنا ان ذلك العربي كان قد اخبر خالدًا بما كان قد اضمرهُ وردان من المكيدة واخبرهُ عن المكان الذي كان قد عين للكمين فارسل خالد رجالاً تحت قيادة ضرار وكبسوا الكامنين وقتلوهم عن اخرهم وكمنوا في مكانهم وعندما اجتمع خالد بوردان وتنازعا هجموا وقتلوا وردان وسلبوا ملابسه وجواهرهُ. وبعد ذلك رفعوا راسه وهجموا هم وجيش العرب على الرومان الذين كان قد وقع في قلوبهم الخوف والرعبة لما راوا ما كان قد حل بقائدهم فانهزموا. ومن المصادفات التي تدل على تيقظ العرب وسعدهم في ذلك الحين وصول نجدة من ابي بكر الصديق في ذلك الحين مع ان ذلك لم يكن يخطر لهم ببال فعندما راوا الغبار ظنوا انها نجدة من امبراطور الرومان فلما انكشفت الغبار عنها وجدوها عربية فاسعفتهم جدًّا. ومن المؤكد انه قتل كثيرون من الرومان غير انه ما من برهان يدل على صحة ما تقرر في بعض التواريخ العربية من ان الذين قتلوا في معركة اجنادين هم خمسون الفًا من تسعين الفًا وهو عدد جيش الرومان في اجنادين غير ان ذكر هذا العدد في رسالة بعث بها خالد بن الوليد الى ابي بكر الخليفة ما يحملنا على قبولها من الحوادث الجارية وفي تلك الرسالة انه قتل من العرب في القتال الذي حدث في اجنادين اربعمائة وخمسة وسبعون رجلاً. والحاصل ان الرومان انهزموا بسوء تدبير قائدهم الذي سلم سرًّا يتوقف على كتمه النصر والكسر الى رجل غير مجرب في الاعمال مع انه كان يسهل عليه ان يجري مقاصدهُ بدون ان يعلم احد بها. ولا يقرأ الانسان اخبار الرومان في ذلك الزمان بدون ان يتعجب من جهالتهم وخياناتهم وانشقاقهم وبغض بعضهم للبعض الاخر. وبعد ان فاز خالد بن الوليد ذلك الفوز العظيم رجع بالجيش الى دمشق ليجدد الحصر

وبعد ان ارتاحت اوغسطا من الاتعاب الكثيرة التي صادفتها عندما دخلت معسكر العرب وخرجت منه ومن تاثير الخوف الشديد الذي حل في قلبها عندما ظنت ان العرب قرعوا باب الخدع الذي كانت فيه مع محبها ورفيقه ليقتلوها ويسبوها قال جوليان لها ان من الواجب ان اعود الى قومي لاتقلد قيادة فرقتي فانه لا يليق بناموسي ان اجلس مشاهدًا للضيقات بدون ان اقوم بحق واجباتي. وكان ابتعاد اوغسطا عن جوليان من اصعب الامور عندها فكانت تفضل مشاركته في كل الشدائد والضيقات على فراقه ومع ذلك لم تظهر له اقل ميل الى منعه عن الواجبات التي لا يليق به ان يهملها وكانت تعلم مخاطر القتال فانها رات فتك العرب بعينيها وحملت وبل مشاهدة

سيلان دم محب بسلاح عربي. على انها قالت له بعد التامل برهة ان اخفاء ميلي خطا وبناء على ذلك اقول لك انني اود ان اكون معك ومع ذلك لا اخالفك في شيء فان قلت لي ابقي هنا ابقى وان امرتني بالذهاب الى انطاكية اذهب فانت الآمر وانا المامورة فشكرها جوليان على ذلك وقال في نفسه ان سعادة الرجل والمراة تتوقف على انقياد المراة الى الرجل وحب الرجل للمراة وبحوله تعالى لا تعوز شيئًا من الامرين فلولا شقاء الحروب الجارية لتمتعنا بهناء لم يتمتع غيرنا به. وبعد ان تفاوضا مليًا قال لها الاوفق ان تذهبي اما الى انطاكية واما الى حلب ولا تعرضي نفسك لخاطر الحروب ومشقاتها ولا تخافي عليَّ من سوء العواقب مادام الله معنا. وكانت اوغسطا ترغب في الذهاب الى انطاكية اكثر من الذهاب الى حلب ولذلك قالت لجوليان انني ساذهب الى انطاكية. فقال لها لقد احسنتِ وباتا تلك الليلة مصممين على السفر في الغد اما جوليان فكان مصممًا على الانضمام الى جيش الشام بعد ذهاب العرب عنها للقيام بحركة اجنادين وكانت اوغسطا تحب ان تدخل الشام معه غير انه كان يعلم انه اذا عاد العرب الى حصرها تكثر الشدائد على اهلها وتضيق عليهم الاحوال وتبيت اوغسطا في اضطراب شديد. وفي الغد نهضا من الفراش باكرًا وسمعا اصوات تكلم خارج القاعة التي كانا فيها فقالا ماذا عسى ان يكون ذلك واضطربا لغرابتها لما تحققا ان لغة المتكلمين يونانية ارتاح بالهما وفتح جوليان الباب فراى اعيان القرية مجتمعين ومنتظرين خروجه ليخبروهُ بنتيجة معركة اجنادين وبانهزام الرومان وانتصار العرب وحضور نجدة جديدة من الخليفة فانه كان قد وصل الى تلك القرية بعض فرسان الجيش المنهزم. فلما سمع بذلك حزن وصار الضياء في وجهه ظلامًا واستقصى الاخبار من اولئك الفرسان واستنتج بان ما بعد ذلك النصر غير الرجوع الى حصر الشام. فقال لاوغسطا ما من مهرب من الذهاب الى الشام في الحال لانه ربما كان الجيش العربي يرجع الى حصرها في الحال ولا اشور عليك بالذهاب الى انطاكية برًّا بعد هذه المعركة بل بالذهاب الى الساحل وركوب البحر ثم قطع المسافة الواقعة بين انطاكية والشاطي فانه ما من خطر في تلك النواحي. فقالت له ان ركوب البحر شدة عندي وفيه من الخطر ما لا يخفى عليك فاسمح لي بان ادخل الشام معك فان الله قد منحني التجلد والصبر على الضيقات فلا اخاف من شدائد الحصر ولا من مخاطر الحرب ما دمت مقتربة منك. فقال لها جوليان لقد اصبتِ في ما قلتِ من جهة اخطار البحار ولذلك قد صممت على ان ادخل بكِ الشام في هذا اليوم. فاتاها بملابس جندي واركبها جوادًا وسار هو واوغسطا ورفيقه والفرسان المنهزمون الى الشام ولما اقتربوا منها سار رفيق جوليان امامهم ليرى هل في ظاهر الشام فرسان من العرب اولا. ولحسن حظهم لم يجد احدًا فدخلوا المدينة آمنين

وكانت كل هذه الامور تجري بدون ان يبلغ سلمى شيء منها فان سجانها وناظر السجن لم يكونا من العارفين باللغة العربية ولذلك كان قومها قد كسروا الرومان كسرًا مهمًا بدون ان تعرف شيئًا عن ذلك حتى انها لم تكن تعلم هل التزم العرب ان يرجعوا عن البلاد الشامية بالدفاع الروماني او ثبتوا فتوحاتهم بانتصارات جديدة والحاصل ان سلمى كانت في حالة ردية فان السجن بدون فراق محبها وانقطاع اخبار قومها عذاب كافٍ وعلى الخصوص اذا كان بين قوم لا يعرفون شيئًا من لغتها وكانوا رجالًا وما من امراة بينهم. ولم يكن ذلك الضابط قادرًا على ان يفتح لها بابًا للفرج فانه لم يكن يعرف لغتها فالتزمت ان تقتصر

على اشارات كان يصعب عليه ان يفهمها ، وصرفت اسبوعًا بتعبير اشارات المقصود منها انها تكون له اذا وافقها على الهرب فكان يفهم منها انها كانت تحب ان تهرب ولكن لم تكن تقدر ان تبلغه اكثر من ذلك ، وكان يجب ان يبقى معها اكثر النهار وان يجلس بجانبها وكانت ملاطفتها له تؤثر في قلبه تاثيرًا حسنًا جدًّا ولم تكن ترى ما يدل على خبث نواياهُ وفساد مقاصده وكانت تسأله عن معنى بعض كلمات يونانية فكان يعلمها اياها حتى انها اصبحت في مدة قصيرة تعرف كلمات كثيرة يونانية . وكانت تتعجب منه اذ لم تكن تعلم غايته من جهتها . وفي ذات يوم اطال القيام في سجنها وكان كلما انهى السجان عملاً يرسله ليقوم بعمل آخر فاتعبه وحملهُ على التضجر والتذمر وعلى اساءة الظن فيه فانه قال في نفسه ماذا يحمله على الاقامة النهار بطوله في سجن هذه المرأة . ومن المستغرب ان ذلك الضابط لم ينتبه الى وجوب ارضاء السجان او الى الامتناع عن صرف اكثر زمانه عند سلى ، وكان السجان يغار ما كان قد راى علاماته من حب الضابط لها وحبها له حتى انه اظهر لها الغيظ مرات كثيرة وعاملها معاملة لم يكن يليق ان تعامل بها . ولو لم يظن الرومان ان سلى من النساء الفاتكات اللواتي لا سبيل الى حفظهن الا بسجون القلع وتحت مناظرة الرجال لما افرزوا لها مكانًا مخصوصًا في تلك القلعة ولم يكن يخطر للقوم ببال انه يمكن ان تجري علاقات الوداد بين رجل روماني وتلك الفتاة العربية . وفي ذات يوم سار السجان الى رئيس السجون كلها في المدينة واخبره بما كان يراهُ من الضابط وبانه كان يشغله النهار بطوله في اعمال خارج السجن ويقيم فيه هو وسلى اكثر النهار . فغضب الرئيس عندما سمع بذلك واخذ في الفحص فتحقق من انقطاع الضابط المذكور عن المكان الذي كان يصرف فيه اكثر النهار وغير ذلك . فدعاهُ اليه وسأله فتحير في امره في ابتداء الامر ثم قال انني قد علمتها كلمات يونانية كثيرة بامل الوقوف منها على خبر قومها . ولا يخفى ان الرئيس لم يقبل هذا الاعتذار ولكنه امر بسجنه واقام ضابطًا آخر كان قد تعهد له بدفع مبلغ معلوم اذا قلدهُ الوظيفة وكان الضابط الجديد عالمًا بسبب وقوع القصاص على سلفه ولذلك كان لا بد له من مجانبة الوقوع في ما كان قد وقع فيه . ومع ذلك كان يجب ان يفوز بالنظر الى سلى التي كان قد سمع بجمالها ولطفها . فدخل سجنها . ولما سمعت صوت مشيته ظننته الضابط المعهود غير انها لدى التحقيق قالت ان صوت مشيته مختلف عن هذا الصوت . ولما دخل سجنها وقف امامها برهة وهو يتفرس فيها بدون ان يتكلم كلمة واحدة . فتكدرت اذ رأته واضطربت اذ انها لاحظت بانه قد جرى امر جديد فان انقطاع الضابط الاول يومًا واحدًا عنها جعلها تعلم بانه لا بد من ان يكون قد حدث امر جديد . وما من احد يقدر ان يصف شدة حزنها اذ ان خسارة رجل كانت قد اتكلت عليه كانت مما يكدرها فكيف لا تتكدر بعد ان كانت قد علقت امل خلاصها من ذلك السجن بمساعدته . وبعد ان وقف امامها برهة صرخ وهو يقول سبحان الخالق . اما سلى فقبل قفل الباب حتى القفل استغرقت في البكاء وهي تقول في نفسها لو لم اكن منكودة الحظ لما كنت اخسر كلما احب ان ابقى حاصلة عليه فحياتي سبيل الشقاء ووجودي عذاب جهنم فمن يا ترى ينقذني من هذا الويل وكيف يا ترى انقذ منه ولا ارى نور الامل حتى يسطو عليه ظلام البلايا حتى انه لم يبقَ لي صبر للامل ولا امل بالفرج ولو كان ابتعادي عن سعادة لما شق عليَّ الامر ولكنه عن محب يهون عليَّ ان ابذل روحي في سبيل حبه واحب ان افتح عيني يومًا لاراهُ لحظة واطبقها طبق

الموت ولا ارى بابًا للامل بالحصول على هذا القدر ولئن كان كقطرة واحدة في بحر الحب فلا يبرد نار الهيام ولا يقلل ذلك البحر ولا بكثرهُ . وكانت تتاوه وتتحسر وتندب سوء حظها وتنوح واي نوح . وطالت عليها الحال على هذا المنوال ولم تكفكف ادمعها اللولوية الا عندما سمعت صوت مشي السجان الذي كان حاملاً طعام المساء اليها اذ انها كانت تخاف ان يقول انها تبكي فراق الضابط الاول

هذا وقد قلنا انهُ بعد ان انتصر العرب في اجنادين كتب خالد بن الوليد قائد كل جيوش العرب الى ابي بكر الصديق واخبرهُ بذلك النصر وانهُ بعد ذلك سار قاصدًا الرجوع الى حصر الشام وكان قد سمع اهلها بقتل القائد وردان وانكسار ذلك الجيش الجرار فخافوا جدًّا وتحصنوا وجمعوا من الزاد ما تيسر لهم جمعهُ واعدوا الات الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام؛ وكان قد ضم الى جيش العرب في اجنادين تسعة الاف جندي تحت قيادة عمرو بن العاص والفا جندي تحت قيادة شرحبيل بن حسنة والفا جندي تحت قيادة عامر بن ربيعة والفا جندي مع معاذ بن جبل ومعهُ المال . فلما راى الرومان ازدياد عدد جيش العرب ورجوعهُ منتصرًا بعد محاربة جيش عددهُ اكثر من ضعف عددهِ وقع الخوف في قلوبهم وقوعًا لم يسبق لهُ مثيل اذ ان الاستخفاف كان شانهم . ومن المعلوم ان خالدًا كان جامعًا بين الشجاعة والبسالة وحسن التدبير فنزل على الدير المعروف باسمهِ وبينهُ وبين المدينة اقل من ميل . وبعد نزولهِ دعا اليهِ الامراء وقال لابي عبيدة انت تعلم ما ظهر لنا من غدر هولاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم في اثرنا فامضِ بمن معك من اصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فياخذوك بكرم

فذهب ابو عبيدة مع قومهِ ونزل عند ذلك الباب وضربا خيمة من الشعر . هذا ولما وصل خبر انتصار العرب في اجنادين الى ابي بكر الصديق سر سرورًا لا مزيد عليهِ وقراهُ على قومهِ وانتشر الخبر بين العرب فاجتمع كثيرون من الامراء برجالهم اليهِ طالبين ان يرخص لهم بالذهاب الى الشام او ضموا الى جيش خالد . وكان عمر بن الخطاب عند ابي بكر كالوزير الاول فانهُ كان نائبهُ فكره خروج هولاء الامراء وقال لابي بكر الخليفة دعوا القوم لنا وفي قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذي كانت كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم على كفرهم وارادوا ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نورهُ ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما ان اعز الله ديننا ونصر شريعتنا اسلموا خوفًا من السيف فلما سمعوا ان جند الله قد نصروا على الرومان اتوا لنبعث بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب ان لا نقربهم . فقال ابو بكر لا اخالف لك قولاً ولا اعصي لك امرًا . وهذا الكلام من اغرب ما يسمع من خليفة لرجل تحت امرهِ وهو دليل ذلك الاتضاع الذي جذب قلوب تلك الامة التي كانت تكره الخضوع لغيرها بالتذلل ولا تزال كذلك . وبلغ اهل مكة من اولئك القوم ما تكلم بهِ عمر بن الخطاب فاتوا كلهم المسجد فوجدوا ابا بكر وحولهُ جماعة من قومهِ يتحدثون بما فتح الله على الجنود العربية في الديار الشامية . وكان عمر بن الخطاب عن يسارهِ وعلي بن ابي طالب عن يمينهِ والناس حولهُ فاقبلت قريش الى ابي بكر فسلموا عليهِ وجلسوا بين يديهِ واخذ سفيان بن حرب في الكلام بعد ان اقبل على عمر بن الخطاب فقال يا عمر كنت لنا بغضًا في الجاهلية فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك في قلوبنا

ستاتي بقيتها

مُلَح

حيلة امرأة

ان امرأة من الدروز كانت تحب ان تخلص من زوجها غير انهُ لم يكن يرتضي بان يطلقها فلما رأت انهُ لا خلاص لها منهُ دعت اليها رجلاً وقالت لهُ اكتب على قفا الباب هذه الكلمة وفي روحي ولا ترجعي. فكتب. وفي اليوم الثاني دعت اربعة رجال واوقفتهم خارج البيت وقالت لزوجها اقرأ لي المكتوب على هذا الباب فقرأ روحي ولا ترجعي. وبموجب اصطلاحهم هذا كافٍ لطلاقها فاشهدت الرجال عليهِ وصارت طالقًا

واجبات الصداقة

في ذات يوم غضب الفيلسوف اريستيب وفي اثناء الغضب اختلف هو وصديقهُ اشين. فقيل لهُ اين الصداقة التي كانت جارية بينكما. فاجاب الفيلسوف انها نائمة الآن وساوقظها. وبعد ذلك سار ركضًا الى اشين وقال لهُ هل تظن انني ضعيف بحيث لا اقدر ان اصلح اغلاطي. فأثر ذلك جدًّا في اشين وقال لهُ انك تحملني بجميل فملك كل اللوم فانك قد فعلت ما كان من الواجب عليَّ ان افعلهُ فاكتفوا بهذا القدر واتحدا بالصداقة اتحادًا لم يكدر بخلاف

الصداقة الصحيحة

سال والدٌ ابنهُ من في محل علك فقال احدٌ اصدقائي فقال الاب الظاهر ان اصدقاءك كثيرون فهنيئًا لك فانك اسعد مني اذ قد صرفت اكثر من ستين سنة في هذا العالم وعجزت عن ان اجد صديقًا واحدًا صحيح الصداقة. فالصداقة الصحيحة جوهرة ثمينة. حتى انهُ في ذات يوم اشتهر احد الشبان الفرس في الحرب باعمال كثيرة حتى انهُ نال غاية من المجد وكان فرسهُ يسهل لهُ الفوز. فدعاهُ قورش اليهِ وقال لهُ أَلا تبيعني الفرس بولاية من مملكتي. فقال لا يا مولاي غير انني ابيعهُ بالحصول على صديق صحيح ان كان الحصول عليهِ ممكنًا

مراعاة الظروف

اجتمع فيلسوف وملاح في مركب فسال الفيلسوف الملاح عن معارفهِ فقال لهُ انك لا تنفع اذ انك لا تعرف شيئًا. فاجاب انني اعرف السباحة. فقال الفيلسوف ان هذا لا ينفع. وبعد يومين اضطرب البحر وهاج جدًّا حتى اشرف المركب على الغرق فدنا الملاح من الفيلسوف وقال لهُ لقد اشرفنا على الهلاك فماذا تفعل. فقال انني لست بقادر على فعل شيءٍ. فقال ألا يجد بك التفلسف نفعًا فلماذا لا تتفلسف. فقال ان ذلك لا ينفع. فقال الملاح انني سابح ولذلك يسوغ ان اقول انني اعرف منك. فغرق المركب ونجا الملاح وهلك الفيلسوف

الحذق في تغطية العيوب

ان احد الملوك اراد ان يتصور حال كونهِ مصابًا بالعور والعرج والكتع. فجمع المصورين وطلب اليهم ان يصوروهُ بدون ظهور عيوبهِ فعجزوا عن ذلك. فصرفهم واخذ يبحث عن المصورين فقيل لهُ ان في احدى المدن مصور ماهر جدًّا ما من مصور امهر منهُ في المملكة باسرها. فدعاهُ اليهِ وقال لهُ اذا لم افز منك بالمرغوب لا افوز بهِ من احد فانك امهر مصوري المملكة وطلب اليهِ ان يصورهُ بدون ظهور شيءٍ من عيوبهِ وقال لهُ اذا لم تخترع واسطة لذلك في ثلث ساعات يحل بك قصاص شديد. فخرج المصور الى البرية حائرًا خائفًا وفي اثناء تاملهِ في سوء حالهِ والويل الذي بات فيهِ من جرى مهارتهِ خطر لهُ ببال ان يصور الملك يطلق البندقية على غراب في اعلى شجرة وهو راكع فباطباق جفني العين المصابة يستر عيب العور وبالركوع العرج وبالبندقية الكتع فصح ذلك وفاز بجائزة وعرف ان المهارة الحقيقية ذات ثمار جيدة في الغالب

يهم ميادين المعاش او لانفاذ اغراض البعض في مناظريهم من ابناء وطنهم لا يستبد امرنا ولا تستقيم احوالنا العمومية ولا الخصوصية ولا يسوغ ان نلوم سياستنا العامة على ما نراه من التقصير في تلك الدوائر لاننا نحن نكون قد اتينا به ومن الواجب ان نحمل اللوم وان نجعل اتعابنا الناتجة عن ذلك وسائط قاطعة نتعلم بها مجانبة ما قد اختبرناه مما لا يوافقنا ومن المؤكد ان المجلس النشيط الذي يراعي حقوقه في الاعمال ولو بات معزولاً ولا يجري ما يجعله يخاف ان يصر على اجراء ما فيه خير لئلا يطالب بما قد حاد فيه عن الصراط المستقيم يمتع اهالي مكانه بالسعادة والرفاهية ويجعل الحقوق نافذة ويصبح غير مجبور بمراعاة الخواطر فالحصول على رجال شانهم ذلك الشان منوط بنا وبصاحب الامور عند دولتنا العلية ان ترى الاحوال جارية في مجاريها لتقرير راحة العباد وراحتها بالتخلص من الاتعاب المتواصلة التي تنتج عن تقصيرات الذين يقبضون على ازمة السلطان المجلسي حال كونهم ليسوا باهل لذلك ومن المقرر في عقول اهل الذكاء ان ذلك الاصلاح في الاماكن المختلفة انما هو تبديل حال موجبة للتشكي بما يعود على اهاليها بالخير والراحة على ان قطع النظر عن الصعوبات التي تحول دون بلوغ المرغوب لا يكون سليم العاقبة فان الشقاق الجاري بين الاهالي في اماكن ليست بقليلة مانع لذلك فالغايات هي المرعية الاجراء عندنا فنفضل ان نضع في مجلس عضواً لا يليق به على ان نمكن احد الذين هم من مناظرينا من الانتظام في سلك عضويته ومن الانصاف ان نقول اننا كثيراً ما نرى اجراءات في الاماكن الصغيرة موجبة لخوف المناظر من مناظره غير انه لما كانت الاعمال المجلسية غير متعلقة بواحد بل ببعض اعضاء كان انفاذ الغايات محصوراً في الغالب في المجالس التي ليس فيها اعضاء من ذوي الاهلية فيبيت النفوذ في يد احدهم ويمسي الاخرون اسماً بلا جسم ومن المحقق ان نوايا حضرة صاحب الابهة والدولة اسعد باشا مشير العسكر الخامس ووالي ولايتنا الجليلة الافخم متعلقة باصلاح هذه الاحوال غير انه لتقرير الامنية العمومية في الولاية بعد ان امعن على ما قد امست عليه بتقصيرات ماضية ناتجة عن اسباب متعددة معلومة عند اربابها المحل الاول ولذلك قد ارتضى بان يحمل بنفسه اتعاب الذهاب الى مركز الاجراء في ابتداء فصل الشتاء بامل تقرير الاحوال في زمان قصير والرجوع الى الاصلاحات التي تدل قال انه مصمم على القيام بها وكل من يعرف ما يجري الان يعرف الصعوبات التي لا بد من ان يصادفها غير ان ثمة عناية ونشاطة عظيم ومع ذلك لا بد من ان نقوم نحن بما هو متعلق بنا لئلا نبقى في اماكن كثيرة على ما كنا عليه فيكون بقاؤنا معاكسة لجري الاصلاح ومن اهم الامور ان نقلع عن المداخلات الخصوصية اجابة لطالب جاه او متعهد لان ذلك مضر بالعدل والراحة العمومية ولا يخفى اننا قد ذكرنا اموراً متعلقة بالامور المذكورة في هذه الجملة غير انه لا بد من الاعادة مع تغيير قوالب المعاني ليتم التاثير في عقول المطالعين فما اهون المطالعة ولكن ما اصعب الاجراء ومع ذلك قد ذقنا من عواقب تقصيراتنا ما هو اصعب من تلك الصعوبة وهذا يسهل علينا ذلك الصعب واذا لم نتمكن من القيام بالمرغوب دفعة واحدة فمن الاصابة ان نقوم به شيئاً فشيئاً وبذلك اتمام السعادة والفوز بالمرغوب وبدون ذلك نصير الى التاخر في الاطراف وفي الداخلية الى ان نقع في آفات قد سبقتنا اليها البلدان التي لم تنتبه الى اصلاح نفسها فراحتنا في يدنا من هذا القبيل ومتى تم الحصول على بعضها يتم الحصول عليها كلها ومتى تم الحصول على ذلك الكل تفتح ابواب الاصلاحات الاخرى ويتم لنا السعد

ولا تكون الزراعة اخر اغراضنا فانها اساس تقدمنا وينبوع ثروتنا وبالامنية التامة تفتح ابواب واسعة للدخول الى الاراضي المخصبة المتسعة التي لا تزال مقفولة والمامول ان الاستقبال لا يصادف تكديرات الماضي بسبب الفساد الذي طرأً على حقوق التملك ومنع الوف اكياس عن ان تسير الى الداخلية لتزرع اسباب الثروة وتصون الفلاح من مطامع لا توثر فيهِ لولا جهالة وضعفه وتجعل الالف من دخل الخزينة العامرة اثنين بل اربعة الاف فالادارة الحكمية هي التي تنتج منهجًا يأتي بتلك النتائج ومن يا ترى من اكابر رجال العالم لا يريد بل يتمنى ان يكون مصدر تغيير حالة قوم اسكنهم الله اشهر بلاد واخصبها فيكتسب الثناء الجميل والفضل العميم ولا سيما اذا راى اعيان الاهالي يكتسبون اعتبارهُ بمساعدتهِ في الحصول على ذلك المرغوب فيفتح لنا ابوابًا كبارًا ولا نقدر ان ندخلها مع انهُ قد حان الزمان اللازم لذلك وعلى كل حال التوفيق بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل

اصلاح غلط

وقعت ثلثة اغلاط من الكاف الى اللام في اللغز الذي نشرناهُ في الجنان الماضي من قلم يوسف افندي نقولا نقاش وهي وقال الله حينئذٍ من عكسهِ غلط صوابهُ وقاك الله الخ. وان عكسته سال غلط صوابهُ وان عكسته ساهك. وكما ان ذلك عندهُ لا يغرب غلط صوابهُ كما ان ذلك عنك لا يغرب

الدانمرك

قد ذكر في جريدة لمبرسيال قد شاع انهُ قد جرت مخابرات بين دولة روسيا ودولة انكلترا بخصوص طلب تقرير حيادة الدولة الدانمركية بواسطة قرار دول اوربا. ومن المعلوم ان انكلترا وروسيا لا تنظران بعين السرور الى ازدياد قوة المانيا البحرية. واذا وقعت الدانمرك في دائرة الاتحاد الالماني تفوز المانيا بالحصول على منافع قوة امة بحرية مهمة بحيث تتمكن من ان تغلق على روسيا طريق البحر الشمالي وان تحصر شواطي بحر البلطيك. اما انكلترا فتحسب حسابًا لكل ما يأول الى ازدياد قوة المانيا البحرية. ولا يخفى ان روسيا لا تسلم بان تبيت المانيا قادرة على ان تسد عليها طرق البحر. ولذلك من انفع الامور للدولتين المشار اليهما لمنع اجراء مقاصد المانيا في الدانمرك تقرير حيادتها. على اننا لا نعلم ماذا تقول المانيا عن تقرير تلك الحيادة بواسطة ضمانة دول اوربا لما لا يزال في يد الدولة الدانمركية من تلك البلاد. اما الدانمرك فتتردد عن ان تقبل بذلك ما لم تقبل المانيا بان ترد اليها المقاطعة الشمالية من ولاية الشلسويك فان تقرير الحيادة انما هو عبارة عن تركها مائتي الف نفس من الدانمركيين في يد المانيا. ومع ان الدانمرك ضعيفة بالنسبة الى الدول العظيمة وقد باتت عرضة للتهديد هي على جانب عظيم من النشاط والاقدام. ولذلك لا ترتضي بان تتقرر حيادتها بخسارة حقها ما لم تلزمها دول اوربا بالقبول بذلك. وبعد زمان قصير نرى ماذا يكون من هذه الامور (من الجرائد ما تقول ان المانيا لم تطلب الى الدانمرك ان تنضم اليها وان مصدر كل الاشاعات المتعلقة بذلك انما هو طرد بعض الرعايا الدانمركيين من الشلسويك بامر الحكومة الالمانية المحلية بداعي مداخلات متعلقة بها وذلك بناء على نظام الماني يسوغ للحكومة بان تطرد الاجانب من بلادها عندما تمس الحاجة وانهُ لا يخطر ببال المدركين من رجال السياسة بان المانيا ترتضي بزيادة صعوباتها بضم بلاد جديدة غريبة الجنس حال كونها قد ذاقت من متاعب معاملات بلدان اهاليها غريبو الجنس ما قد برهن لها ان مضار ذلك اعظم من نفعهِ وانهُ فضلًا عن ذلك لا تقوم بها بكدر روسيا وهي متحدة معها

اتحادًا نافعًا وهذا الكلام يستحق الالتفات وربما كان صحيحًا)

ايطاليا

اننا منذ برهة ليست بقصيرة نشرنا كلامًا مفصلاً بخصوص نقص دخل خزينة دولة ايطاليا عن مصروفها وذكرنا المتاعب التي نتجت عن ذلك للدولة والاختلافات ومنذ مدة ليست بطويلة خطب موسيو منكتي وزير ايطاليا خطابًا في ليانو على اصحاب الحقوق الانتخابية في ليانو وبعد ان جرى شرب سر حضرة ملك ايطاليا والعائلة الملكية شكر موسيو منكتي المشار اليه الحاضرين على ما ابدوه من الاحترام له ثم شرع في الكلام المتصل عن حالة ايطاليا المالية. وقد قال انه قد تقرر في التعديل المالي لسنة ١٨٧٥ نقص متضمن المصاريف الغير الاعتيادية فمجموع ذلك النقص هو ٦٥ مليون فرنك. وانه سيسد ٣٠ مليونًا من ذلك النقص بواسطة الاتفاق الذي عقد بين الحكومة والطرق الحديدية و١٣ مليونًا منه بواسطة الاموال الاميرية الجديدة التي وضعها مجلس النواب في المدة المتاخرة اما الباقي من النقص وقدره ٢٢ مليونًا فيسد برسومات جديدة على المقطوعية وزيادة في رسومات الصادرات والواردات. وقد قال الموسيو المشار اليه المامول ان ذلك يكون واسطة لسد كل النقص بدون ان تمس الحاجة الى وضع اموال اميرية جديدة هذا اذا امتنع مجلس النواب عن تقرير مصاريف جديدة اذ انه اذا فعل ذلك تمس الحاجة الى تقرير رسومات جديدة ايضًا. وفي اثناء الكلام عن النقود الورقية التي قد صار وضعها قال انها باتت مناسبة جدًّا للموازنة الجارية في ادارة الدولة

روسيا والكارلوسيون

ان ما قد شاع عن ارسال حضرة امبراطور روسيا تحريرًا الى الدون كارلوس قد اشغل افكار رجال السياسة واتى بتقولات كثيرة مختلفة حتى ان بعض الجرائد قد قالت ان ذلك التحرير هو عبارة عن اظهار روسيا مضاداتها لاعتراف دول اوربا بحكومة المرشال سيرانو الاسبانيولية واظهار ميل دولة روسيا الى الدون كارلوس ورغبتها الشديدة في نجاحه وانشاء الحكومة الملكية في البلاد الاسبانيولية وكانت الجرائد المضادة للكارلوسيين تفسره غير ما كانت تفسره الجرائد المتحزبة لهم وقد نشرنا كلامًا مطولاً بهذا الشان في الجنة. وقد ظهر من تقريرات جريدة مومريال دو بلوماتيك بان ذلك التحرير خال من كل اهمية سياسية كما قررنا في الجنة قبلاً وقد قالت تلك الجريدة بهذا الخصوص بالاستناد الى تفويض رسمي ما ياتي وهو. ان عددًا كثيرًا من الجرائد قد ادعى ان حضرة امبراطور روسيا قد بعث الى الدون كارلوس بتحرير منشط تنشيطًا سياسيًا وان ذلك التحرير تابع لاعتراف دول اوربا بحكومة المرشال سيرانو الاسبانيولية اما نحن فنقدر ان نقول ان ذلك التحرير يتضمن عبارة لطيفة غير انه لا يتعلق بالامور الكارلوسية ولا ينشطها وانه ورد الى الدون كارلوس قبل اعتراف دول اوربا بحكومة المرشال سيرانو بايام كثيرة. انتهى. فهذا الكلام مع امتناع جريدة الكارلوسيين الرسمية عن نشر ذلك التحرير يدل على ان الكارلوسيين ارادوا ان يجعلوا اهمية لذلك التحرير تفوق اهميته الحقيقية

فرنسا وايطاليا واسبانيا

ان الذين لاحظوا سياسة فرنسا الخارجية منذ نهاية الحرب التي انتشبت بينها وبين المانيا الى الان يرون انها طالما صادفت صعوبات مصدرها كمصدر

الصعوبات الداخلية وهو الانشقاقات التحزبية التي قد وقعت البلاد فيها وقطع نظر احزابها عن مراعاة صوالحها لان صوالحهم الخصوصية لها المحل الاول عندهم وهذا من اعجب الامور لانه من المحقق ان واجبات الامم اذا كانت في ظروف فرنسا او في ظروف اخرى ان تجعل المحل الاول للصالح العام في الامور الخارجية ولو لم يتيسر لها ذلك في الداخلية ومع ذلك راينا جارتي فرنسا وهما ايطاليا واسبانيا اخذتين في الابتعاد عنها بعد ان كانت ايطاليا اقرب الدول اليها لانها هي اقامت باتحادها ولئن كان اقامة نتيجة اجراات بروسيا في حرب سنة ١٨٦٦ بالاشتراك مع ايطاليا وفي حرب سنة ١٨٧٠ بدون الاشتراك معها وما ذلك الا من نتائج رغبة فرنسا في عضد حزب خدمة الدين الذي قد شرع في مضادة الامبراطورية الالمانية لانها فازت على عضد العنصر الكاثوليكي ثم شرعت في مضادة عنصر خدمة الدين حتى بات فيها في اسوإ الحالات بحيث ان جرائدهُ قد قالت بان البرنس بسمارك عامل على ان يضعضع احوال المذهب المسيحي الكاثوليكي فاصبحت فرنسا صديقة اعداء ايطاليا فان استيلاء الدولة الايطاليانية على مملكة حضرة البابا ولاسيما على مدينة رومية قد جعلها بالطبع عدوة لخدمة الدين وحزبهم وعلى الخصوص لانها لم تكتف بذلك ولكنها مدت يدها الى الاديرة والجمعيات والاوقاف واضعفت عنصرًا كان في ايطاليا اقوى العناصر وانفذها وكان كلما يحدث ما يبين ان فرنسا اخذة في الاقتراب منهم تبعد ايطاليا عنها وتقترب من المانيا حتى انها عندما ترجح انشاء الملكية فيها وان تلك الملكية لا بد لها من اجراء ما يسر حزبها والذين اقاموا بها وهم خدمة الدين وحزبهم ومن مكايدة اعدائهم ومصافاة اصدقائهم اخذت المخابرات بين المانيا وايطاليا في ان تجري بقصد عقد اتفاق بين الدولتين من غاياته اخذ الاحتياطات اللازمة لدفع اجراات فرنسا غير ان الحكومة الفرنساوية رات ان التسليم بجريان السياسة في مجاريها المناسبة لذلك الحزب بالنظر الى ايطاليا خطا مبين فاخذت في اظهار مضادتها لذلك وفي تبيين ميلها الى ايطاليا حتى انها اوقعت قصاصًا على الجرائد التي تعدت الحد ودونهاية براهين رغبتها في موادة ايطاليا ومصافاتها اخراج البارجة المسماة اورنك من ثغر رومة مع انها كانت موضوعة لصيانة حضرة البابا وخدمته ومع انه لم يكن ضرر من جرى اقامة تلك البارجة هناك لم تطق ايطاليا بان تراها مقيمة في مياهها حال كونها موضوعة لخدمة بلاط كنائسي قد وقعت بينه وبينها مجاهرة في العدوان ولصيانته منها وهذا هو الذي كان يحمل ايطاليا على ان تطلب بالحاح الى فرنسا اخراج تلك البارجة ومجاراتها على ذلك دليل رغبتها في الابتعاد عن عدوان ايطاليا وربما كان حضرة البابا يعذرها اذ انه يعلم انه حسبها عداوة المانيا غير انه اذا عذرها اولا لا يمكن ان يرتضي حزب خدمة الدين بصداقة صديقة لعدوته اذ انه لا بد من ان يتبع ذلك مجاراتها على بعض امور ليست له من الخير في شيء وبالتالي تلتزم فرنسا ان تتحد مع اضداد اعداء اعدائها وهذا خراب لصوالحهم ولاسيما اذا تقررت الجمهورية فانها تعلم ان الصواب في المحافظة على صداقة ايطاليا واسبانيا وتميل الى ذلك بخلاف الحكومة الاخرى التي ترى الصواب ولا تميل اليه فتلتزم ان تقوم به مراعاةً لصوالحها وكذلك سياسة فرنسا من جهة اسبانيا فان الكارلوسيين هم اصدقاء حزب خدمة الدين الذين هم اصدقاء فرنسا لمحافظتها عليهم ومضادتها لعدوتهم المانيا غير انها قد اعترفت باعدائهم اي باعداء الكارلوسيين لانهم اقوى وما في يدهم من البلاد اوسع مما في يد الكارلوسيين

واملهم بالفوزاقوى ولذلك قد الزمت حكومة فرنسا ان تجاري الد اعدائها وهي المانيا على الاعتراف بحكومة تضاد حزب فرنسا ولا ريب في ان ذلك لا يرضي اكثرية مجلس النواب ولا حزب الملكية غير انهما يلتزمان ان يرتضيا به لمراعاة صوالح عامة ولو كان المجلس ملتئمًا واستشارته حكومة فرنسا قبل الاعتراف باسبانيا لمنعها عن ذلك ولا سيما بعد ان يرى ان روسيا قد امتنعت عنه ولئن كانت اهمية اسبانيا عند روسيا هي غير اهميتها عند فرنسا بالنظر الى الجيرة والجنس فان الامة الفرنساوية والايطاليانية والاسبانيولية هي من جنس لاتيني وكل منها جارة للدولة الاخرى وتحتاج اليها ولا سيما بعد ان امست اوربا على ما هي عليه الان من الانشقاق في الاراء بداعي الحربية وحزب خدمة الدين والجمهورية والملكية وامور اخرى كثيرة لا نعلم ماذا تكون نتيجتها في اوربا عندما يحل زمان اشتباك الصوالح فالاصابة في ما قد عولت فرنسا عليه من السياسة فنسال الله ان يوفقها و يوفق كل الامم الناقمة

سجن الكونت ارنيم

ان الجملة الاتية هي من الكولون كازت الالمانية وهي اوضح خبر متعلق بسجن ذلك الكونت العالي الشان ومع انه متعلق برجل واحد هو ذو اهمية وفيه توضيحات متعلقة بالسياسة العمومية الماضية والمستقبلة في اوربا وبما كانت تظهر امور مهمة بواسطة محاكمته ولذلك وقوف الذين تهمهم الامور السياسية على تفاصيل الخبر مهم وهذه ترجمة تلك الجملة

قد اصبحت الاحوال السياسية في اهمية في هذا الزمان بواسطة سجن الكونت هاري فون ارنيم سفير المانيا السابق في باريز بعد ان كانت قليلة الاهمية . وقد اثر ذلك تاثيرًا عظيمًا في برلين والمانيا بل في كل العالم وقد اتى بظهور اراء مختلفة ولا سيما بعد ان اصبح غير اصدقاء الكونت يبينون اراءهم بهذا الشان . اما نحن فنقدر ان ننشر اخبارًا صحيحة مهمة بخصوص هذا الامر المكدر . ولا يخفى انه قد طال زمان الخلاف بين ذلك الكونت والبرنس بسمارك . وربما كان الناس لا يعلمون بان البرنس بسمارك كان من اعظم اصدقاء الكونت ارنيم السياسيين ومن اعظم عاضديه . اما البرنس بسمارك فمتى ابغض يشدد البغض ولا ريب في ان الكونت فون دركولتز قد عرف ذلك عندما سلك مسلك الكونت ارنيم لتكدير سياسة البرنس بسمارك وهو سفير في باريز . غير انه كان يميل بعض الميل الى الكونت ارنيم حتى عند وقوع الخلاف بسبب تمنع الكونت عن ان يطيعه وقد برهن على ميله الجيد عندما تمكن من ان يحمل امبراطور المانيا على فصل الكونت ارنيم عن سفارة باريز مع ان الحصول على رضى الامبراطور في امور كهذه ليس هو من الامور السهلة . وقد قال البرنس بسمارك اننا سنمتحن خدمة الكونت ارنيم امتحانًا اخر بعد ان اتى من باريز الى برلين وقال للبرنس بكلام موثر انه متكدر جدًا ماقد جرى . ولذلك سمح البرنس بسمارك لذلك الكونت بان يعود الى السفارة في باريز . غير ان الامتحان الثاني لم يات بالمقصود وعندما اجتمعا الاجتماع الاخير قال البرنس للكونت انه بات لا يركن اليه كل الاركان وانه لن يركن اليه . اما الذي كدر البرنس بسمارك فهو تصرف الكونت ارنيم قبل قلب حكومة موسيو تيرس ببرهة وبعد ذلك . فانه ظهر في ذلك الزمان ان اختلاف ارائهما هو عظيم . فانه مقرر عند البرنس بسمارك بان خطر فتح حرب من طلب الفرنساويين الانتقام يكون اقل اذا كانت حكومتهم جمهورية من خطره اذا كانت ملكية . لانه يصعب على الجمهورية ان تفوز بالحصول على

اتحاد دول اوربا الملكية معها ، مع ان الملكية تشتاق الى الشهرة والمجد ولا سيما اذا كانت ملكية بوربونية متحدة كل الاتحاد مع خدمة الدين الذين هم الد اعداء الامبراطورية الالمانية ، ومع ذلك كان الكونت ارنيم يميل كل الميل الى ترجيع الملكية البوربونية حتى انه ربما كان قد اظهر من ذلك الميل اكثر مما يناسب اظهاره . هذا ويكفي ان نقول انه تقرر عند البرنس بسمارك ان السفير لم يتم تحقيق الاوامر الصادرة له . ومن الامور المعلومة ان هذا الخلاف كان قد مهد سبيل ارسال الكونت ارنيم ليكون سفيرًا لالمانيا في الاستانة العلية . غير ان اهواء الكونت ارنيم حرم نفسه تقلد مامورية عمومية في الاستانة وفي غيرها لان ذلك لم يكن ممكنًا بعد ان دخل في جدال مشهور جرى بينه وبين رئيسه البرنس بخصوص المسئلة الرومانية المهمة جدًّا . واذا قلنا ان من الناس من يحكم ان اراء الكونت ارنيم التي ظهرت بعد فوات الفرصة بخصوص وجوب عضد الحزب المضاد للفاتيكان في المجمع العام الذي عقد فيه اصوب من راى البرنس بسمارك وهو المحافظة على التخلي ما من احد ينكر ان وقوع جدال ظاهر بين رئيس ومرؤس في خدمة الدولة العمومية مما لا يحتمل . ولا نقدر ان ندرك كيف ان الكونت ارنيم بعد ذلك الجدال سار الى برلين وقال انه ذاهب ليتقلد سفارة الاستانة . وربما انه لم يستعفِ صار فصله . اما حضرة امبراطور المانيا فعامله بكل رفق فانه لم يقطعه كل القطع من الخدمة بل جعله متقاعدًا بنصف معاش . وكان الامبراطور يرغب في ان يسد باب الكلام بهذا الشان . ومن ياترى لا يشترك في الرغبة في ذلك مع حضرته . فكيف ياترى صار فتح هذه المسئلة فتحًا مدهشًا غير منتظر . هذا وكان قد قيل ان الكونت ارنيم سيصير من محرري الجرائد وان مراده ابتياع جريدة والشروع في الطعن في البرنس بسمارك باظهار امور مخفية كما فعل لامارمورا . ولا نبحث في صحة هذه المسموعات او عدمها . فان الامر جرى في جهة اخرى . فانه كبس بيت الكونت المبني في املاكه في ناسنيد والقي القبض عليه بامر مجلس برلين . وقد بات في السجن بدون ان يسمح للناس بان يزوروه . ولا نعجب اذا سمعنا ان كل الجرائد المضادة للامبراطورية الالمانية امست تقول ان هذا الفعل عدوان من البرنس بسمارك . ومن الناس من يقول ان البرنس بسمارك خاف من طعن الكونت واظهاره لامور سرية حتى انه رغب في استرجاع تحريرات خصوصية توقع عليه الذنب غير ان الكونت ارنيم تمنع عن تسليمها فشرع البرنس في استخدام القوة . اما الجواب فهو ان اسباب الاختلاف لم تصدر من البرنس بسمارك ولكنها صدرت من خلف الكونت في سفارة باريز وهو البرنس هوهنلون فانه لما اراد ان يقرر نفسه في مركزه الجديد وعلى الخصوص ان يقف على سياسة المانيا بخصوص مسئلة رومية وجد ان ١٤ تحريرًا من التحريرات ذات الاعتداد والمقيدة في الدفاتر غير موجودة . فلما سال عن تلك التحارير قيل له انه ما من احد يعرف شيئًا عنها وانه ربما كان الكونت ارنيم قد اخذها معه . فسالت وزارة خارجية المانيا الكونت عن ذلك فقال ان تلك التحارير معه . ولا يخفى انه كان سفير رومية ولذلك لا بد من ان يكون في تلك التحارير ما يلذ له غير انه قد سلك مسلكًا غريبًا بدعوى انها تخصه . ووقع جدال بهذا الشان ولا سيما في برلين ونظن ان الكونت ارنيم ارسل من كارلسباد التحارير المفقودة وعددها ١٤ تحريرًا وفي اثناء ذلك كانت سفارة المانيا في باريز قد دققت البحث ووجدت ان التحريرات المفقودة هي ٥٥ تحريرًا علاوة على التحارير التي قد ذكرناها . فسئل الكونت مرة اخرى فقال ان عدةً ١٧ تحريرًا غير انها له وانه

مصمم على استخدامها للدفاع عن نفسهِ اذا طعن فيهِ حتى في اقامة دعاوٍ قانونية. وبناء على ذلك تمنع عن رد التحارير المذكورة. هذا ومن المعلوم ان الكونت ارنيم ليس هو على جانب عظيم من الترتيب ولذلك ربما كان بعض التحارير المفقودة الغير المهمة قد بات ضائعًا غير ان بعض تلك التحريرات مهم جدًّا وفيها اوامر منفصلة صادرة من البرنس بسمارك وكان قد بعث بها اليهِ برضى حضرة الامبراطور ومن هذه الاوراق ورقة مكتوبة في ٤ او ٥ صفحات. وهيئتها واعدادها تبين انها رسمية ومختصة بالحكومة. ولذلك لا تصدق الوزارة الخارجية انهُ قد فقد ٢٨ تحريرًا وانهُ لا امل بوجودها وعلى كل حال تقول ان التحارير التي قد اقر الكونت ارنيم انها في يدهِ هي ملك الحكومة وعندما فتشت الضابطة بيتهُ قال ان تلك التحريرات ليست بيدهِ. اما الدعاوي الشرعية التي اشارت جريدة الكروز زيتونك اليها بابهام فهي متعلقة بتسمية الكونت ارنيم سفيرًا في الاستانة وبالاتفاق الذي جرى حينئذٍ بخصوص معاشهِ وفي يدهِ ٤ او ٥ تحريرات بهذا الشان ووزارة الخارجية قطعت النظر عن ذلك عندما طلبت الى مجلس برلين بان يأتي ببقية الاوراق من الكونت. وقد التزم البرنس بسمارك ان يقوم باجراآت قانونية اذ ان الكونت ارنيم قال انهُ لا علاقة لهُ بوزارة الخارجية وهذا غلط اذ انهُ لا يزال من مأموريها المتقاعدين. اما نظارة خارجية المانيا فقد بينت التحارير المفقودة وقررت مآلها حسب امكانها ولم تطلب الى مجلس المانيا بان يلقي القبض على الكونت ولكنها اقتصرت على طلب التحارير التي تدعي بانها ملك لها. ومن المعلوم ان مجلس برلين سيحكم باحد امرين وهما اما ان التحارير هي تحارير خصوصية سرية كالتحارير التي كثيرًا ما تجري بين وزير وسفيرهِ واما انها رسمية. والظاهر انهُ لا ريب في ان المجلس سيحكم بان بعض هذه التحريرات رسمية ولولا ذلك لما امر بتفتيش بيت الكونت ولا بالقاء القبض عليهِ وهذه هي الواسطة القانونية لالزامهِ بتسليمها. وعندنا ان هذه الاخبار صحيحة ولذلك لا يلزم ان يقع التنكيت في ذلك على البرنس بسمارك بل على المجلس. واذا نظرنا الى الامر كاعدائهِ نقول انهُ كان في سلطان البرنس ان يغض نظرهُ عن تلك التحارير. والحال انهُ لا يقدر على ذلك بعد ان خاطب حكومة ايطاليا مخاطبات قوية جدًّا بخصوص اخذ تحريرات رسمية من تحريراتهِ من وزارة خارجية ايطاليا فكيف يقدر ان يسمح بحدوث ما اقام الحجة على حدوثهِ في ايطاليا وذلك في نفس دائرة الخارجية المتعلقة بهِ. ولا بد من ان نظهر الاسف اكرامًا للكونت ارنيم ولعائلتهِ الموقرة اذ انهُ راى انهُ لا بد لهُ من ان يجعل هذا الامر يبلغ الدرجة التي قد بلغها. وقد تبين لنا من الامور الظاهرة ما يمكننا من الحكم بان البرنس بسمارك قد اصاب وان الكونت قد اخطا وتصرف تصرفًا غريبًا. فان الكونت ارنيم هو على جانب عظيم من الحذق والاقتدار غير ان الظاهر ان التهيج قد اظلم نور ادراكهِ السابق فهذا هو ما قد لاحظناهُ منهُ عندما رجع من باريز وقد تقرر الان ذلك في عقلنا. اما الان فالامر مطروح امام القضاة. ومن الامور البعيدة ان يتمكن الكونت من ان يظهر ما يبين اصابة تصرفهِ باظهار امور مجهولة عندنا غير ان ذلك ليس من الامور الغير الممكنة. اما مجلس برلين فمشهور بالانصاف والمأمول ان هذه الدعوى تثبت المثل القديم الدارج عندنا وهو ان في برلين قضاة

فرنسا

قالت جريدة التيمس لا بد من ان اصحاب

الافكار من الامة الفرنساوية يسالون انفسهم مرات كثيرة الى اين يا ترى تسير بلادنا. وما هي الميناء الامينة التي تقصد الالتجاء اليها. هل هي ذاهبة الى الجمهورية او الملكية او الامبراطورية. وهل يساق مركب الامة الفرنساوية المضطرب بهواء التوفيق الغير الثابت في نهاية الامر الى الميناء الامينة. وقد اصابت جريدة جمهورية فرنساوية اذ قالت انه في سنتين اولهما ربيع سنة ١٨٧١ واخرهما ايار سنة ١٨٧٣ كان مقررًا عند الملكيين جميعهم ان ثبات الجمهورية وما يظهر فيها من القوة انما هو لان السلطان الاجرائي ليس هو في يدهم اي في يد الملكيين. وكان يقال لنا سلموهم زمام الاحكام فيرى العالم الامة في وقت قصير سائرة وراءهم اينما ساروا. حتى انهم كانوا يقولون انه ليس للجمهورية اساسات ثابتة وان اصولها لم تتسق في البلاد التي خدمت لها قهرًا بواسطة بعض رجال السياسة الذين يسلمون انفسهم الى التقادير وجرى ذلك في زمان ويلات وارتباك. فهذا هو الكلام الذي كنا نسمعه مكررًا بتعب. والظاهر انه لم يخطر لاولئك الملكيين ببال ان موسيو تيرس الذي كان حينئذٍ رئيس الجمهورية لم يكن من الذين يقال ان امياله جمهورية غير معتدلة وانه كان من الملكيين المتعصبين للملكية وان الذي حمله على تغيير سياسته في نهاية حياته انما هو ما راهُ بحذقه السياسي من ضروريات السياسة وهي انه لا سبيل الى انشاء الملكية بسبب ظروف الاحوال. غير ان عاضديها لم يسلموا بصحة ذلك ولكنهم وسعوا دوائر امالهم وكثروا مطامعهم واخذوا في تدبير الوسائط المبلغة الى المقصود حتى ان كثيرين منهم باتوا يكرهون مجرد اسم الجمهورية ويحسبونه اسم ويل وخوف له علاقة باردا حوادث عيالهم وبلادهم وكانوا يقولون ان الجمهوريين هم اعداؤهم بالطبع وان الراديكال من اشر الناس وانهم رجال يترصدون وقوع السلطان في يدهم ليرجعوا الى تعديات الثورة الاولى الكومونية التي اهيجت سنة ١٨٧١. وقالوا باستهزاء ان انشاء جمهورية معتدلة منتظمة هو اختراع لاستجلاب الذين هم اصحاب قلوب بسيطة حتى يقعوا في شراك الاوباش وانه اذا كان عندهم شيء حسن يكون الشر غالبًا حتى انه يخطئ كل من يقول انه يمكن ان يثبت الخير مدة طويلة وانه من الواجب ان تفرغ اعظم الاجتهادات في سبيل منع وقوع الاخطار التي كانوا يترصدون وقوعها. ولذلك افرغوا جهدهم في قلب ذلك الرجل الذي كان قد غير افكارهُ مراعاة لما هو اوفق لفرنسا. ولم يكن ذلك من الملكيين نتيجة امر تقرر في عقولهم انه صواب ولكنه نتيجة مطامعهم وما نظروهُ من ان تثبيت الجمهورية انما يكون بواسطة محافظته على المركز العالي الذي دعي اليه بخدماته النافعة وشكر البلاد لاعماله. وبعد ذلك اصبح الفوز للملكيين وحل اليوم المنتظر. فانهم قلبوا حكومة موسيو تيرس وبات الذين كانوا يجعلون مدحهُ والثناء عليه ديدنهم مشتغلين في الطعن فيه. وبعد ذلك ببرهة قصيرة شاهد الاجتهاد العظيم المشهور الذي صرف في سبيل جني ثمار اتحاد غير تام بين حزبي الملكية غير انه جرى في زمان قصير ما جلب على الذين حاولوا ذلك الفشل والعار بعد ان كانوا قد اركنوا الى نجاح مشروعهم وعاينوا امامهم بقرب الحصول على مرغوبهم فامسوا في ظل التاخر وعدم النجاح. غير انهم توهموا وقوعهم في خطر مبين فانهضوا هممهم وشرعوا في اجتهادات جديدة للتخلص من ذلك الخطر وبعد صعوبات كثيرة تمكنوا من اقامة الحكومة السبعية ومن حمل مجلس النواب على تقريرها. غير ان ما صادفوهُ من الفشل عند محاولة ترجيع الملكية لم يغير اراءهم الغريبة فانه لم

يزل مقررًا عندهم انهُ مادامت ازمة الامور في ايديهم لا سبيل الى حلول الخطر فان الامة الفرنساوية ترتضي بان تسير وراءهم وتحيد عن سبيل الجمهورية وقرروا بان الحكومة السبعية ستكون ملكية بدون ملك حتى يحدث امر موافق مناسب او تغيير مرغوب فيهِ يمكنان الملك من تبوُّء العرش غير انهم لم يعززوا ذلك الامر والتغيير . اما مخاطر المحافظة على حكومة موقتة فظاهرة غير انهم لم يرتضوا بان يروها . على انهُ قد حدث ما لم يكن حدوثهُ من المنتظر عندهم فان الجمهورية لم تضعف ولكنها اخذت في النمو ولم يظهر شيءٌ من علامات التغيير الذي كانوا قد علقوا املهم بحدوثهِ . فان اجرا انهم نشطت الامبراطوريين اذ اتحدوا معهم اذ لم يروا سبيلاً لغلبة الملكيين الا بالاتفاق معهم هذا وربما كانوا مصممين على ان يدفعوهم عنهم عند اتمام مرغوبهم او ان يرضوهم بشيءٍ طفيف . غير انهم اي الامبراطوريين نهضوا واخذوا في اجراء ما يناسب غاياتهم . ومع ذلك لم يترددوا عن ان يتحدوا معهم عند انتخاب المين واللوار ولا يترددون عن ذلك في الانتخابات القادمة حال كونهم كانوا قد راوا ما يحملهم على ان يغاروا منهم

المانيا

قالت جريدة التيمس قد طرح امر في مجلس المانيا الاتحادي العالي من شانهِ كشف شموس المضادات الجارية بين الدولة وخدمة الدين والمغايرات السياسية. وهو نظام قصير قدمهُ البرنس بسمارك وهو عبارة عن نظام تنظيم الجيش الالماني المعروف باللاندستورم. وقد تقرر فيهِ انهُ يسوغ لحضرة الامبراطور ان يجمع ذلك الجيش من تلقاء نفسهِ عندما تمس الحاجة وهو الذي يعرف الزمان الذي تمس الحاجة فيهِ . وهذا النظام متعلق بالنظام العسكري حتى انهُ يسوغ ان يدخل بعضهُ في الجيش الاعتيادي اذا احتاجت البلاد الى خدماتهم فيهِ . فهذا النظام هو مركب من عبارات قليلة ومع ذلك هو يمس حالة كل الماني من الصبوة الى ان يفوت سن الكهولة . واذا لم يجرِ هذا النظام لا تقل اهميتهُ لان الحكومة الالمانية قد طلبتهُ وهذا يحمل اهل العالم على ان يتشاءموا خوفًا من الشر ولذلك كل رجل يحسب لهُ حسابات فتؤثر في اعمالهِ وفي كل المشروعات النافعة . لانهُ ما من شيءٍ يحملنا على الظن بان الرجال العارفين القابضين على ازمة مهام المانيا قد طلبوا ذلك النظام لمجرد اتخاذ احتياطات وما من شيءٍ يدل على وقوع ما يأخذون الاحتياطات لمجابهتهِ او انهم طلبوا تقريرهُ ليعظموا السلطان الامبراطوري على مرأى من العالم. ولذلك نقول انهم طلبوا تقرير ذلك النظام لينتفعوا بهِ . ودليل شدة تأثيرهِ اختصارهُ وابهامهُ وبعد تقريرهِ يصبح رجال الامبراطورية قادرين على اقامة قوة عسكرية يصعب على البشر ان يقيموا قوة اعظم منها . فان جيش اللاندستورم الذي قد طُلب انشاؤهُ هو الجيش المركب من كل اصحاب الاجسام الصحيحة من اهالي المملكة الذكور . وتنظيم هذا الجيش هو عبارة عن جعل كل اولئك الذكور في خدمة الحرب .

ومن المقرر في المانيا التي قد كثرت فيها الحروب والانشقاقات انهُ عندما يقع الوطن في خطر الفتح او الدولة في خطر القلب من واجبات كل ذكر ان يبادر الى الدفاع ولو التزم ان يتقلد الاسلحة التي هي لهُ ان كانت تامة او غير تامة وان كان من اهل الاقتدار من واجباتهِ ان يصرف ما يلزم لهُ ان يصرفهُ من مالهِ . اما في الزمان المتاخر فقد تقرر في عقول القوم ان جيش اللاندستورم هو من الجيش الاعتيادي غير انهُ غير منتظم . ولا ريب في انهُ مقرر في عقول

رجال الحرب في المانيا انه قد دنا زمان زيادة قوة المانيا الدفاعية . فان عدد الاهالي قد زاد والبلدان الالمانية التي كثيرًا ما كانت تناد بالحسد واختلاف الصوالح الى العدوان قد اصبحت متحدة تحت رياسة دولة واحدة قوية . والطرق الحديدية تجمع جيوش الامبراطورية في ايام قليلة في مكان الاحتياج هذا وقد حصلت على ثروة لم يحلم رجال سياستها سنة ١٨١٢ بانها تحصل عليها ولذلك حصلت على ما يحتاج اليه الجيش في الحرب بعد ان اخرها الاحتياج اليه في الماضي مرات كثيرة عن انفاذ اجراآت قوادها . والمعارف قد جعلت الجنود اثبت واقوى ومع كل ذلك الجيوش الجرارة التي تقدر المانيا الان ان تاتي بها ميدان الحرب ليست بكافية لتمتع البرنس بسمارك والكونت مولتك براحة الامان . ومن المعلوم ان ازدياد القوة بالمعارف والثروة تستدعي قوة عسكرية حربية تزيد عن ذلك . لان القيام بالحرب يكون بكل القوة التي تكون في يد الامة المحاربة . هذا والالمان يعلمون كيف تم لهم الفوز سنة ١٨٧٠ وقد اصبحوا يرون في فرنسا ما يبين لهم انها قد تعلمت منهم بمصائبها . فانها رات ان الالمان هجموا بمئات الوف فكسروها وبددوا شملها . ولو كانت قوة فرنسا ضعف قوتهم حينئذٍ لتمكنت المانيا من الغلبة لان كل استعداداتها في الداخل والخارج كانت مما ليس عند الفرنساويين شيء يماثله . اما الان فقد تقرر عند الالمان انهم لا يقدرون ان يفوزوا بوجود فرنسا في ظروف مناسبة لهم بعد ذلك كما راوها في الحرب الماضية . فان تنظيم حالة جيش فرنسا قد جرى بنشاط وبدون انقطاع ولم تؤثر فيه الانشقاقات التحزبية ولا الاختلافات الداخلية . وقد اعتنى المرشال مكماهون وغيرهُ في سد الخلل الذي ظهر لهم في الماضي . فان كانت رجال جيش فرنسا الجديد كرجال الجيش السابق او احسن او اضعف فلا ريب في ان عدد الجيش يكون اكثر هذا اذا اجري النظام وقدرت مالية فرنسا على حمل اثقاله واذا تم ذلك يكون لفرنسا في زمان قصير جيش اكثر من جيش المانيا سنة ١٨٧٠ والذي يحمل المانيا على طلب تقرير النظام الجديد رغبتها في ان تبقى سابقة لفرنسا . وعلى كل حال قد اصاب مكاتبنا اذ قال ان الشروع في تنظيم ذلك الجيش الجديد الالماني في زمان السلام مع انه لم يشرع بذلك قبل في هذا القرن هو من العلامات الردية

معلومات متفرقة

اذا وضعت الفضة بين الزيبق والرصاص تفتتت قطعًا

اذا وضع النحاس في الخل يكتسب الخل لونًا زنجاريًا

اذا طلي موضع لذع العقرب او الحية بالاسفيداج سكن الالم واذا وضع الاسفيداج في ماء حار حتى يذوب ورش به البيت اهلك البراغيث

تبخير البيت بالزرنيخ يهلك البعوض

جلاء الاسنان برماد الصدف يذهب وسخها ويجعلها بيضاء كالفضة

مسحوق العقيق نافع ايضًا لجلاء الاسنان

اذا حل المغناطيس في الحليب وسقي المسموم ابطل فاعلية السم

اذا حك المغناطيس بالثوم تبطل منه خاصية الجذب واذا غسل بالخل ترجع اليه حالاً

اذا رش الكلس الحي في محل طرد منه البراغيث

من المجربات اذا وضعت قطعة من الياقوت في شربة او حق فان ماءها لا يبرد مهما كان البرد شديدًا

رائحة الكبريت نافعة لامراض الورم

الغرغرة بالماء الذي غلي فيهِ خشب السرو مع الخل (نافع لالتصاق) لحم الاسنان

قصب السكر نافع للسعال

حمل سن الفرس نافع من داء الكابوس

من المجرب انهُ اذا علق ذنب الفرس في محل طرد الناموس حالاً

اذا اطعم الجمل الذي لدغتهُ حية سرطان يبرأُ حالاً

اذا اطعمت المجانين لحم الواوي لا يعود يزداد جنونهم

اذا زرع البصل البري حول القرى لا تعود تاتيها الذئاب

لحم الثعلب نافع من داء الجذام والفالج

دهن الخنزير اذا طليت بهِ العظام المنكسرة اسرع في جبرها

التبخير بشعر الفيل يدفع حالاً الحمى الدورية

اذا غلي العنكبوت بمقدار من السمن وطلي بهِ الجسم او الراس اهلك القمل

اذا دهن الشعر بمرارة الغراب سودهُ حالاً

(سورية بحروفها)

الصناعة في الشرق

(من قلم سليم افندي البستاني)

ان الذي يجب ان ينفع لا يمتنع عن تقرير الواقع مالم يرَ انهُ دون ذلك امور ذات اخطار تزيد عن منافع تقريراتهِ بالنظر الى بطء تاثير الكتابات في الناس ولا سيما عندما يكون جهل عدم معرفة القراءة مستوليًا على العامة وجهل عدم ادراك معاني الكتابات مكدرًا لافهام كثيرين من الذين يدعون بدون حق بانهم من الخاصة وبناء على ذلك نقول اننا نحن الشرقيين لا نزال في تاخر وجهل بالنسبة الى التقدم الصحيح والمعارف الحقيقية وما نشعر بهِ من الذكاء وسرعة الخاطر وقوة فهم الامور المعاشية والجارية في الاعمال البسيطة انما هو منحة طبيعية قد منحها الله تعالى لاكثر الذين هم في المناطق المعتدلة غير انهُ لابد من ان يحط قدرها عندنا بعد ان نكتشف على قلتها وضعفها وافتقارها الى القواعد الصحيحة بواسطة مطالعة اسباب التقدم الحقيقي فاسباب نشر معارفنا التي هي اساس كل تقدم ناقصة لنقص الطالب وعدم وجود مدارس عمومية باموال الحكومة او اموال الجمعيات الخيرية او اموال المجالس البلدية لانشاء مدارس للزراعة والصناعة في الاماكن اللازمة لذلك بالنظر الى ظروف الاماكن وادخال تلامذة من اولاد الفقراء مجانًا ومن اولاد الاغنياء بالبدل المالي ليتعلموا اصول الزراعة والصناعة وعند تعلمها يرون الفرق بين فلاح وصانع من الذين تعلموا بالنقل وفلاح وصانع قد جعلوا اساس اعمالهم المعارف كما سنبين بكلام بسيط وعبارات سهلة الماخذ لتعميم الفائدة . ولا يخفى ان اساس عدم اتقان الاعمال كلها في الشرق انما هو جهل المعارف الضابطة لها فان الله تعالى قد خلق كل شيء وجعل لهُ ناموسًا او ضابطًا يتوقف عليهِ امرهُ الظاهر والباطن كما انهُ خلق الحيوان وجعل في الانسان الارجل للمسير فالايدي لا تعوض عنها . والوصول الى هذه المعرفة انما يكون بالفطرة غير ان الوصول الى ضوابط الامور الصناعية والفلاحية انما يكون بالبحث والتدقيق ومجموعها هو المعارف ومنها خاصيات الامور واسباب تفاعل بعضها في البعض الاخر من جميع الوجوه ومعرفة بعض نتائجها بدون معرفة اسبابها العلمية خير من جهلها غير ان ذلك لا ياتي بالتفنن ولا يصون من الافات وهو مانع للتقدم وللاختراع وتقدمهُ بطيء اذ يكون بالامتحان فقط الناتج عن التصادف او

بالاحتياج مع ان التقدم بالمعارف يكون بذلك وبالاشتغال العقلي . وبالجملة نقول ان ما نراهُ من النقص في الطرق او الابنية او المحصولات او الفرق في الصناعة والفلاحة ونقص المحصول وما نسمعهُ عن خراب ابنية وبطلان بعض صنائع وغير ذلك من اسباب التشكي من عسر الاثمان انما هو نتيجة جهل اهل الصنائع للمعارف الرابطة لصناعتهم وكذلك اهل الزراعة ولا نظن اننا نضرب في حديد بارد اذا قلنا انهُ من اهم الامور في كل البلدان الشرقية المبادرة الى انشاء مدارس من طرف المجالس البلدية غير انهُ ما الفائدة من مدارس الصنائع اذا جعلت واسطة لمعاش البعض وانتفاع البعض وتضييع وقت فتيان زمانهم بالنظر الى انفسهم ذو ثمن كرمان ملك بالنظر الى نفسهِ ولذلك من الموافق ان تقام مدرسة لتعليم معلمين للزراعة والصناعة تحت ادارة صحيحة امينة لا لاكتساب المال وتخسير البلاد المنافع. هذا وليس المقصود اطالة الشرح في هذا الصدد الان ولكنهُ تقرير توضيحات مفيدة للعامة التي قد تبعت الكتّاب في قولها ان المعارف اساس التقدم بدون ان تعرف ما هي المعارف التي هي اساس لها فتتوهم انها تعلم النحو واللغة الفرنساوية وانهُ ان عرف الفتى جاء زيد وعرف ادرج الكلام الفرنساوي يفتح ابواب المعارف ويدخل جنات التقدم مع ان ذلك هو عين الخطا ومن الواجب ان نكتب بعض امور توضيحًا لكيفية تعلق الصنائع بالمعارف وفي جمل اخرى نوضح كيفية تعلقها بالزراعة

اما الامور المعروفة عند الشرقيين بالتقليد بدون توضيح تعلق الصناعة بها فلا نذكرها لئلا يقول الجاهل انني اعرف ان اصنع مائدة بدون معرفة الهندسة وقواعد الاثقال وخاصيات المواد الغروية وغير ذلك ونجعل بحثنا متعلقًا بالمعارف الطبيعية المتعلقة بالصناعة تعلقًا عامًا مجهولا عند عامة اصحاب الصنائع في الشرق ليس لان الاصول الهندسية وغيرها من المعارف المتعلقة بالصنائع المشهورة معلومة ولكن لان الافكار تنتبه الى الشيء الجديد برمتهِ اكثر من انتباهها الى ما تعرف بعضهُ بالنقل والتقليد حال كونهِ يصعب عليها ان تدرك معارفهُ ما لم تتعلمها عن استاذ ولذلك نقول ان المعارف الطبيعية هي من اهم الامور لصناعة البناء ولبناء المراكب وللنجارين عمومًا ولجميع الذين يتعاطون الصناعة بجميع المواد ورفع الاثقال وقطع الحجارة وبناء الحواجز والجسور ورفع المياه وخاصيات الالات . فان معرفة خصائص الالات باب الاعمال منها معرفة خصائص المخل وهو عبارة عن الالة التي هي على هيئة عمود ولها دخل في اكثر الاعمال ان كانت مخلًا لرفع الاثقال او غير ذلك. فانهُ بواسطة جمع قوات الية تصير القوة القليلة قوة عظيمة حتى ان الانسان قد تمكن بواسطتها من رفع اثقال وانشاء اعمال او جمع الانسان كل القوة الانسانية والحيوانية التي يمكن توجيهها الى مركز واحد لما تمكن من رفعها وانشائها بدون تلك الالات . ومن المعارف المهمة معرفة خاصيات المواد بالنظر الى قوتها بحيث تعرف اقوى مواد الالتصاق واقوى وسائط الوصل وقوة الجسور الصغيرة والكبيرة والربط بين الخشب والبنا او بين خشب وخشب . وصناعة صنع الصواري وجميع المواد المختلفة جمعًا موافقًا للمراكب . فانهُ قد تقرر ان قوة الجسر الصغير او الكبير يتوقف على ارتفاعهِ وليس على طولهِ ولا على عرضهِ فان الجسر الذي عرضهُ قيراط وارتفاعهُ قيراطان هو اربع مرات اقوى من جسر ارتفاعهُ قيراط وقوتهُ ضعف قوة جسر عرضهُ قيراطان وارتفاعهُ قيراط . وينتج من ذلك ان اقوى خشبة من شجرة ليست هي اعظم الاخشاب حجمًا ولكن ارفعها ليس بالطول ولكن في الجهة المضادة لامتداد مساماتها. وكذلك قد نتج من ذلك اننا اذا اخذنا

آلة من الحديد وجعلناها عصا طولها ذراعان ثم اخذنا آلة من الحديد وصنعنا منها عصا مثقوبة اي فارغة من داخلها كانبوب فالفارغة اقوى من الملآنة لانة مقرر ان المحل الفارغ فراغًا كرويًا اقوى من محل غير فارغ فيه مادة قدر مادة الفارغ · والمحل الفارغ هو امتن اي اقل ارتجاجًا من المحل الملآن فمتانة الفارغ منه وقوته تزيدان بحسب رقة الدائرة بالنسبة الى المحور. ولذلك قد صنع الله عظام البشر والحيوانات فارغة لتكون قوية ومتينة وهذا يجعل مكان العضلات اوسع مما لو كانت تلك العظام ملآنة وقوتها كهذه القوة ويجعل حركاتها اسهل لخفتها . وكذلك عظام الطيور وهي ادق من عظام الحيوانات الاخرى وعظام ريشها فارغة ايضًا وبذلك تجمع بين القوة والمتانة والخفة بحيث تكون قادرة على الطيران. ولذلك قد جعل المهندسون والنجارون في هذا العصر صناعتهم مبنية على تقليد المخلوقات فيجعلون اهم اقسام الآلات فارغة فان ذلك يوفر مواد ويكون واسطة لتقوية مصنوعاتهم

ومن المعارف اللازمة للمصنوعات المعارف المتعلقة بالمائيات اي بنواميس ثقل الماء وحركته وكيفية تعديل قوته وجريانه ولا سيما الذين يصنعون آلات رفع الماء والطواحين المائية والينابيع والآلات النارية وآلات الضغط المعروفة بالمكابس وحفر الترع وتنظيم مجاري المياه · وبدون معرفة تلك المعارف يخطئون في اعمالهم واي خطا ويقصرون عن ادراك درجات الاتقان في كل الصنائع المذكورة وغيرها مما يتعلق بذلك . ومن القواعد المتعلقة بذلك نواميس ضغط السوائل فانة مقرر انها تضغط بقوة واحدة على كل الجوانب فاذا وضعت في اناء يكون ضغطها على اعلاه وجوانبه قدر ضغطها على اسفله · ومن تلك النواميس ان الماء يرتفع ارتفاعًا واحدًا اذا وضع في آنية كثيرة بعضها متصل بالبعض الاخر بانابيب او غير ذلك هذا مع قطع النظر عن كبر بعض تلك الآنية وصغر البعض الاخر ومع قطع النظر عن ارتفاع بعضها عن البعض الاخر · ومن نواميسها ان ضغط السوائل هو بحسب ارتفاعها وليس بحسب كمياتها. وللتوضيح نقول اننا اذا وضعنا سائلًا في ابريق من اباريق العرق نرى ارتفاع السائل في الانبوبة قدر ارتفاعه في نفس الابريق مع انها صغيرة جدًّا بالنسبة الى الابريق · وكذلك من المقرر ان ضغط الماء في الاناء يكون بحسب ارتفاع الماء وليس بحسب اتساع الاناء فان وضعت ماء في اناء ذي قعر اتساعه ذراع وارتفاعه ذراع ثم وضعت ماء في اناء آخر اتساع اسفله نصف ذراع واعلاه ذراع وارتفاعه ذراع يكون ضغط الماء على اسفل الاناء الذي اتساع اسفله نصف ذراع قدر ضغطه على الاناء الذي اتساع اسفله ذراع واعلاه ذراع مع ان كمية الماء فيه اقل بنسبة الفرق في الاتساع · فهذه النواميس ذات فائدة عظيمة فانها تمكن الناس من معرفة كيفية استخدام قوة الماء للقيام بالصنائع وغير ذلك · وجهل الرومان لها جعلهم عندما كانوا يجرون الماء من مكان الى مكان يبنون قناطر في الوديان لمساواة علو الماء مع انهم لو عرفوا ناموس الماء لاستغنوا عن المصاريف الكثيرة اللازمة لبناء الابنية في الوديان وصنعوا الانابيب وحصروا الماء فيها فان ذلك يمكنه من ان يصعد قدر ارتفاع ينبوعه بواسطة ضغطه ضغطًا واحدًا على جميع الجوانب وغير ذلك على انة لا بد من ان تكون الانابيب في اسفل الوادي اقوى من الانابيب في اعلاه لئلا تنشق بازدياد ضغط الماء · ومن براهين ضغط الماء بقوة واحدة على جميع الجهات وضع قليل من الماء في آلة ضابطة كالمنفاخ لها انبوبة طويلة فانة بافراغ الماء في الانبوبة يرتفع المنفاخ المذكور ولو كانت عليه اثقال فلو كان الماء لا يضغط ضغطًا واحدًا على

جميع الجوانب لا ترجع الماء الى الانبوبة التي صب فيها بواسطة ثقل المنفخ وما عليه. هذا وقد اشغل القوم مجلدات بذكر نواميس المياه ومنافعها في الصنائع ولذلك لا نقدر الا ان نشير بالاختصار الى تلك المنافع لنبين للمطالع بان المعارف هي اساس الصنائع . فانه بضغط ماء قليل يصغر الانسان قناطير الصوف ليسهل شحنها وبآلة مائية صغيرة قدر الابريق يقدر الانسان ان يقطع حديدًا سميكًا كما يقطع ورقة سميكة بالمقطع المعروف بالمقص حتى ان ماء قليلاً يضغط قدر الف او الف وثلاثة قنطار . ومن نتائج خاصة ذلك الضغط اذا وضع الانسان برميلاً وملأه بالماء ثم ثقبه ووضع في الثقب انبوبة ذات ثقب دقيق كالقصبة الكبيرة واحكم سد الثقب لئلا يخرج الماء وملا ذلك الانبوب بالماء حال كون ارتفاعه ٢٥ او ٣٠ قدمًا او ٩ او ١٢ ذراعًا ينشق البرميل بقوة ضغط الماء وقد استخدم الناس هذه الخاصة لاعمال مهمة فانها تشق الصخور وتهدم الابنية كانها بارود . ومنها اخطار ترك اماكن مثقوبة في الجدران او غيرها وبعض الزلازل تنتج عن ذلك بواسطة اجتماع ماء في قلب جبل في حوض ووجود ثقب من اعلا الجبل الى ذلك الحوض فاذا امتلا الحوض والثقب وكان ضابطًا يكبس الماء على جوانب الثقب اي اعلى الجبل بقوة عجيبة حتى يتزلزل او يزحل بعضه الى ان يتفرق ماء الثقب بفتح مجارٍ او غير ذلك. فاذا عرف الانسان هذه القواعد وتعاطى الاعمال الصناعية او غيرها تكون اعماله متقنة ويكون تقدمه سريعًا ويفوز باثمان فيه باقرب زمان وهذه ابواب الاختراعات

اما المعارف المتعلقة بمعرفة خصائص الهواء فهي من انفع الامور في الصنائع فانه من اهم الامور في بعض الاحوال ان يعرف الصانع نتائج مضادات الهواء وضغطه وتمدده وكم من آلة متوقفة على ذلك حال كونها ذات منافع عظيمة . ومن الامور الدالة على اهمية هذه المعارف الخبر الآتي وهو. ان رجلاً حفر بئرًا فخرج منها ماء كافٍ فاراد ان يستخدم آلة لرفعه وهي المعروفة بالطلمبة فاتى بآلة ووضعها في البئر واخذ يشتغل بها بدون ان يخرج الماء فصرف اياما على تلك الحال وسد كل الثقوب الموجودة في غطا البئر وجوانبه حتى صار ضابطًا كبئر ماء الشتاء وجرى ذلك بحضور بنائين ونجارين وجيران فلما اعيي تشكى لاحد اهل المعارف فبادر الى البئر ووجد ان الغطاء عند فمها ضابط جدًا فلا يدخل الهواء اليها فعرف ان سبب عدم خروج الماء بالآلة مع ان الآلة جيدة والماء كثير عدم دخول الهواء الى البئر ليضغط على الماء عند خروج الهواء من الآلة فيصعد الماء فيها ليملأ الفراغ بواسطة ضغط الماء الذي يدخل من فم البئر على سطح الماء فقال لصاحب البئر افتح ثقبًا في غطا البئر ففتحه ففي الحال صعد الماء في الآلة عند تشغيلها . فسر صاحبها وتعجب اذ وجد انه كان يظن ان عدم ضبط الغطا او البئر ودخول الهواء علة عدم صعود الماء مع ان العلة كانت منع دخوله . ومن الامور التي يهملها البناؤون وغيرهم من اهل الصناعة في بلادنا احكام سد الثقوب في البناء . فانه معلوم ان وصل الاخشاب بالغراء انما يتم بسد كل الثقوب الصغيرة الكبيرة الموجودة في الخشب الذي يرام وصله بحيث لا يمكن دخول هواء بين الثقوب وعند قطع دخول الهواء عند مكان الوصل يتم الاتصال بضغط الهواء على القطعتين بقوة ١٥ ليبرا على كل قيراط مربع فان الصاق الاخشاب لا يتم بقوة الغراء بل بقوة ضغط الهواء بعد استخدام الغراء لمنع دخول الهواء بين القطعتين اللتين يرام وصلهما ولا بد من مداومة الضغط برهة بآلة الى ان ينشف الغراء ويتم

سد الثقوب لئلا يدخل شيء قليل من الهواء بين مكان الوصل . وهذا يبين قوة الهواء واقتداره على التفريق ووجوب الاحتراس من ترك ثقوب في البناء لانه كثير التمدد فيهدم باسعاف قليل بل بدون اسعاف في بعض الظروف التي تزيد تمددهُ ولا ريب في ان دخول العطل على ابنية كثيرة بحدوث شقوق فيها او غير ذلك انما يتم بواسطة ترك ثقوب في الابنية . وكيف يتم صنع النظارات بدون معرفة نواميس النور وكيف يتيسر صبغ المنسوجات بدون معرفة الكيميا وكيف يتم صب الحديد وتلبيس المعادن ولولاها لما تم اختراع الالات البخارية ولا التلغراف ولاجعل لقوة الانسان قائمقامًا بالبخار يقوم باعمال دقيقة لا يقدر الانسان ان يقوم بها بالسرعة والضبط التام فهذه المعارف كلها هي اساس كل تقدم ولا سبيل الى اتقان الصناعة بدونها وقد اتينا بالشواهد والتوضيحات الماضية لانها متعلقة بعنصر الماء والهواء وهما موجودان في كل مكان . ولا سبيل الى التقدم بدون ذلك فيا حبذا لو صرف في لبنان بعض اموال البقايا في هذا السبيل وكذلك في غيره او لو صرف بعض المال الاجنبي الذي يدخل البلاد بغزارة لمنفعتها لانشاء مدرسة زراعة ومدرسة صنائع عوضًا عن توسيع دائرة الاشتغال في جهة واحدة وهي المعارف الادبية فان المعارف في هذه الايام هي كالحراث فلا يفيد ما لم يكن في ارض يقدر على حرثها وكذلك المعارف لا تنفع ماديًا ما لم تكن المعارف التي تسعف الحراث بالحراثة والمطرقة بطرق المعادن وغير ذلك ويا حبذا لو ننتبه الى هذا الامر واذا طال الزمان علينا بدون الفوز بالمرغوب نلتزم ان نبحث عن واسطة بها يتم حصولنا على ذلك بدون اسعافات حكومية او اجانب غير ان مشرب حكومتنا في هذا العصر مشرب التقدم فنسال الله ان يمتعنا به

العظمة والتواضع

من افات العظماء في الشرق الكبرياء فانهم يظنون ان ارتفاع شانهم انما يكون باظهارهم العظمة وانهم ممتازون عن الاخرين فيجعلون نغمة كلامهم نغمة امر وحركاتهم حركات تدل على تشامخهم فهذه احوال مضحكة محزنة فانها تحزن العاقل اذ يرى ان الجنس البشري مع عظمة اعماله خاضع لامور ناتجة عن ضعف العقل والادراك وتضحكه اذ يرى ان اولئك المتكبرين المدعين يتمسكون بما يضر باسمائهم ويجعل الناس يكرهونهم . ومن الحكام من يظن انه لم يخلق الله كاملاً غير الحاكم وان الناس كلهم دونهم مع انا نرى في العامة من هم احكم منهم واعقل واعرف واوهامهم تجعل الكبرياء في صدورهم بحرًا مزبدًا . مع انه اذا نظر الانسان الى الذين اشتهروا بالعظمة في العالم يرى انهم خالون من تلك الشوائب وانهم عند وقوعهم فيها اسقطوا البراهين كثيرة منها تصرفات بطرس الكبير الروسي وواشنطون الشهير وبونابرته الفرنساوي . فاين تواضعهم واختلاطهم بالذين كانوا يشتغلون معهم من عظمة العظماء الذين كانوا يتكلفون العبوسة والحدة فتصيران فطرة فيهم حتى ان بعضهم كانوا يجعلون اصواتهم غليظة لايقاع الرعب فعوضًا عن ان يكون الحاكم محافظًا على الرعايا بالحب والحلم وضابطًا المامورين بالتاني والصرامة بحسب احوالهم يكون كانه مخلوق مخيف يرتجف الناس منه عوضًا عن ان يستانسوا به لحصولهم على الحماية من اهل التعدي الذين هم علة ارتعاد فرائص الناس ومن اصحاب المظالم ومن افات الشرقيين ايضًا الادعاء فان الانسان يدعي بما فعله وبما لم يفعله حتى ان ذلك ظاهر في البعض ويعرفه الناس واصحابه يعرفونه في غيرهم ومع ذلك لا نرى القوم يتجنبونه لسوء الحظ . وفي

الخبر الآتي فائدتان متعلقتان بالتواضع وتقرب العظماء من الناس وبوجوب ترك شهادة الانسان لاعماله وليس للسانه. كان كاتينا من روساء القواد العظام ومن اهل الفضل والشهرة وعاش في الزمان الواقع بين سنة ١٦٢٧ الميلاد وسنة ١٧١٢ وكان على جانب عظيم من الدعة وسلامة القلب واللطف وهو من قواد اشهر ملوك فرانسا وهو الملك لويس الرابع عشر. وفي سنة ١٦٩٠ اقام القائد كاتينا بمعركة عظيمة جدًا في مقاطعة البيامون وهي معروفة بمعركة استافارد وهو اسم قرية مبنية هناك وفاز بالنصر التام. فكتب تقريرًا بحسب العادة عن المعركة وارسله الى وزارة الحرب وذكر فيه اسماء كل روساء الجيوش والفرق الذين حاربوا تحت امره في تلك المعركة واظهر شجاعتهم واعمالهم حتى ان الملك منح كلاً منهم مكافاة بناء على تقرير القائد العام وهو كاتينا. غير انه لم يذكر نفسه ولم يعرف الملك بحركاته واعماله في تلك المعركة الا بخبريات القواد والضباط فعرف ان فرسه قتل وهو راكب عليه وان كرات كثيرة اصابت ملابسه وانه جرح جرحًا صغيرًا في ذراعه اليمنى. ومع ذلك لم يذكر شيئًا من اعماله حتى انه لما سمع احد العظماء قراءة ذلك التقرير قال هل كان كاتينا في تلك المعركة. وفي ثاني يوم المعركة سار الى فرقة من الفرق التي كانت قد اظهرت من الشجاعة والثبات ما لا مزيد عليه ليشكرها ويثني عليها وكان كثيرون من الجنود مجتمعين يلعبون بدفع كرات اللعب فلما راوه تركوا اللعب ودنوا منه. فقال لهم بلطف لا تتركوا اللعب. فطلب اليه بعض القواد ان يلعب مع الجنود. فقبل واخذ يلعب معهم كانه واحد منهم. فقال له قائد من القواد الذين كانوا حاضرين ممازحًا ان من الامور الخارقة العادة ان يرى قائد جيش عام يلعب مع جنوده في صباح يوم انتصر فيه انتصارًا عظيمًا. فاجاب كاتينا انك قد اخطأت لان ذلك لا يكون خارقًا للعادة ما لم يكن في صباح يوم كسره. فمن يا ترى يقرأُ هذا الخبر ولا يعجب فانه لو كان ذلك القائد من الصغيري العقل لجلس واجتمع حوله القوادُ والاهالي يمجدونه ويتملقونه بعد ان فاز فوزًا عظيمًا

تسهيل الاعمال

من آفات التقدم عند شبان الشرق اهمال الاعمال خوفًا من اتساعها وكبرها حتى انه كثيرًا ما يبتدي بعضهم بها وبعد ان يصرف برهة يفرغ صبرهُ فيتركها ويصرف برهة بالكسل والبطالة ثم يبتدي بعمل آخر مادي او ادبي وهكذا يصرف الزمان بدون اتمام عمل او علم مخصوص وما النتيجة الا وقوع الانسان في مستقبل خالٍ من اسباب التقدم والنجاح مع ان الغلبة على الصعوبات والاعمال الكبيرة انما تكون بالثبات والمداومة. وقد قرانا بهذا الشأن خبرًا مفيدًا وهو ان احد الشبان صمم على ان يصلح اغلاطه وان يجعل شانه في التصرفات والاعمال الاكمال عوضًا عن النقصان وان يبدل السلوك في طرق الجهالة بنهج مناهج الحكمة والعقل غير انه بعد ان دقق النظر في نقائصه وتقصيراته وجدها كثيرة وان عناصر الخير والصلاح والنشاط فيه ضعيفة وقليلة ولا سيما بعد ان تعود الكسل والشر فحكم بان الاصلاح ضرب من المحال حتى انه لم يكن يعلم باي اصلاح ينبغي ان يبتدي. فعرف احد الشيوخ بحاله ووقف على اعماله ونقائصه فرغب في ان يجعله يسير في سبل الاصلاح فقص عليه الخبر الآتي وهو ان رجلاً بعث بابنه الى الحقل ليستاصل منه الشوك الكثير. فخرج الابن اليه غير انه لما راهُ كثير الشوك ومتسع الدائرة وان استئصال الشوك منه لا يتم الا بتعب كثير وطويل

قطع الامل من امكانية القيام بالعمل وعوضاً عن الابتداء به نام في ظل شجرة وهكذا كان يذهب كل يوم الى ذلك الحقل وينام في ظل تلك الشجرة. وبعد ان استمر على تلك الحال مدة خرج ابوه الى الحقل ليرى عمله غير انه وجد ان ابنه كان قد خاف من كثرة الشغل ولم يبتدى به. فلم يوبخه ولا لامه ولكنه قال له بصوت يدل على حنوه وحبه يا ولدي لقد اخطأت في الفهم فانني طلبت اليك ان تستأصل الشوك من قطعة صغيرة من الحقل قدر هذه القطعة كل يوم. واشار الى قطعة في عشر الحقل كله. فقال الولد بفرح انني قادر على استئصاله منها بكل سهولة. ثم اخذ في الشغل بهمة ونشاط وسرور حتى انه اكمله قبل الغروب. فقال له والده لقد احسنت في الشغل فاستأصل كل يوم الشوك من قطعة قدر قطعة هذا اليوم فان ذلك يسهل الاعمال عليك. فقسم الولد الحقل عشرة اقسام متساوية وفي عشرة ايام اتم العمل كله وبعد ذلك ببرهة قصيرة صار حديقة جميلة مزينة بالاشجار المثمرة وبالنباتات المزهرة. انتهى. فقال الشيخ للفتى المذكور في ابتداء الكلام ان الذي يجب ان يتخلص من نقائصه وان يصلح احواله واعماله ينبغي ان يحارب النقائص شيئاً فشيئاً ويكمل الاعمال عملاً بعد عمل وفي زمان قصير يتم الاصلاح. وهذا شأن الحكماء عند القيام بكل الاعمال فان هذه الطريقة تسهل الصعب وتقرب البعيد في السياسة كما في سائر الاعمال والاحوال. ولذلك يخطي الانسان عندما يقطع الامل من الاصلاح من جرى كثرة الامور المحتاجة اليه

اثنتا عشرة قاعدة

الاولى. لا تاكل الا قدر الاحتياج ولا تشرب ما يضر

الثانية. لا تتكلم ما لم يكن الكلام نافعاً لك او لغيرك وتجنب الاحاديث الباطلة

الثالثة. ضع كل شيء في مكانه واعمل كل عمل في زمانه

الرابعة. صمم على ان تفعل ما ينبغي ان تفعله وافعل بدون تقصير ما قد صممت على فعله

الخامسة. لا تصرف الا لخير الآخرين او لخيرك واياك والتبذير

السادسة. لا تدع الزمان يذهب سدى بل افعل على الدوام فعلاً مفيداً. وتجنب فعل كل ما لا يعد من الافعال اللازمة

السابعة. اياك عن كل رياء واجعل ظنونك حسنة وعادلة ولا تتكلم كلاماً لا يناسب بواطن افكارك

الثامنة. لا تخاتل في معاملاتك ولا تخدع الناس ولا تهمل الاعمال النافعة لهم المطلوبة منك

التاسعة. اياك عن التناهي في كل الامور. ولا تعامل التعديات الواقعة عليك بما يظهر لك انها تستحقه

العاشرة. اياك عن كل ما يخل باصول النظافة في جسدك وثيابك وبيتك

الحادية عشرة. لا تضطرب من الامور الصغيرة ولا من الحوادث الاعتيادية او التي لا سبيل الى مجانبتها

الثانية عشرة. اجعل الاتضاع شأنك في كل حال

المكافاة

اذا كان الخادم ذا نخوة وحمية ومروءة فمن المفروض على ذمة مستخدمه ان يعامله بالرفق واللين فان ذلك يشدد عناصر المروءة فيه فيستقيم امر الخدمة واذا كان بطيئاً وعلى جانب من الكسل والاهمال فمعاملته بالحسنى خراب الاعمال فالصرامة واجبة في الشرق ولا سيما في دوائر الحكومة وكل الاعمال

المقابلة والقلبية التي لم تصر في الناس من الاعمال التي قد كثرت الايدي فيها. وما احلى الخبر الآتي وهو: ان الجنود الالمانية الذين كانوا مع الملك هنري الرابع في مساء اليوم الذي عين لابتداء معركة ايفري من ولاية الاور الفرنساوية الزموا الامير الالماني اشمبورغ وهو قائدهم بان يذهب الى الملك المذكور ويطلب اليه دفع البقية التي كانت لا تزال لهم من معاشاتهم. فسار ذلك القائد الى الملك وطلب اليه دفع المال فاجابه قائلاً كيف هذا يا ايها الامير الالماني هل يطلب صاحب الناموس مالاً عندما يكون آخذاً في استماع الاوامر للقيام بالحرب. فلما سمع القائد ذلك الكلام اضطرب ورجع مرتبكاً وعزى نفسه بالصمت في خيبته على تلك الخجالة العظيمة. وفي الصباح عند الابتداء بالحرب تذكر الملك الجواب المكدر الذي اجاب به القائد فسار اليه وقال له يا ايها القائد قد فزت انت بالفرصة المناسبة ومن الواجب ان الام انا لانه ليس من العدل بان انال شرف جندي شجاع مثلك. فاقول انه معلوم انك رجل جيد بعيد عن كل ما يشين ولا ترتكب زلة. وبعد ان قال الملك هذا الكلام قبّله بفرح. فصرخ القائد قائلاً والدموع في عينيه يا مولاي انك قد البستني شرفاً عظيماً بهذا الكلام والعمل ولذلك قد قطعت عهدي لانني لا اقوم بحق ابائه الجميل ما لم اقدم نفسي هذا اليوم في خدمتك. وعندما انتشبت الحرب فعل ذلك القائد افعالاً مدهشة لا يفعلها غير اعظم ابطال الرجال فجدد ملكاً وقوماً غيره الا انه قتل في تلك المعركة وسيفه في يده

فيضان النيل سنة ١٨٧٤

ان فيضان النيل هذا العام قد اذهل الخواطر واعاق المتاجر فاصبح وحده محور الاعمال ودارت حوله لكنج مجهاء هم الرجال وخشيت القلوب وبالاً ما طالما عودها الخير والاحسان فكنت ترى الاهالي منتشرة الوفاً الوفاً بل عشرات الالوف على ضفتيه ساهرة لصد الخطب اذا سطا متكاتفة يداً واحدة تعلي الحواجز وتمكن السدود التي عطلتها او خرقتها المياه والنيل هذا السلسال الهادي عاد بحراً زاخراً متعكراً كأنه نسي هيئته او ضاق دونه فراشه فاخذ يتهددها بالخراب ويزار طالباً الهجوم ليتهدد في سطوها ويتبوأ حقولها الا انه قد تذكر بياض حسناته السالفة واسف ان يجعل بينها نقطة سوداء فحسر اردانه وارتد الى الوراء آخذاً بالتناقص منذ ٩ الجاري

فالاضرار التي لحقت من هذا الفيضان العظيم هي على ما يقال اربعون الف فدان غرقتها المياه في مديرية الشرقية (قصبتها الزقازيق) وخمسون الف فدان في مديرية الدقهلية (قصبتها المنصورة) وتسعون الف فدان في مساحة ستين قرية. فمن ذلك ١٢٦٠٨ فدادين تلفت في مديرية الشرقية يبلغ معدل محصولها الاستقرائي على حساب الفدان ثلاثة قناطير ونصف وسعر القنطار ٣٤٠ غرشاً ١٥،٠٠٢،٥٠٠ و١٤٧٧٢ فداناً من مديرية الدقهلية على حساب الفدان ثلاثة قناطير وسعر القنطار ٢٠٠ غرش ١٢،٢٩٤،٨٠٠ غرشاً اذا أضيفت الى ما قبلها بلغت الخسارة الاستقرائية في المديريتين ٢٨،٢٩٨،٣٠٠ غرش اي ٢٤٠،٢٩٠ جنيه او ٦،٣٥٥،٠٠٠ فرنك

اما الاضرار التي لحقت بالصعيد والفيوم فهي على ما قيل ثلاثة ملايين ليرا انكليزية حيث اصبحت جميع تلك الحقول النضرة والسهول الخضراء بحراً طامياً فقطعت المواصلات وغابت قرى كاملة تحت ارتفاع المياه وامسى فلاحوها بلا ماوى يقاسون الضرر الاليم في وسط القوارب التي التجأوا اليها هم وعيالهم وبهائمهم الا ان تعديل هذه الخسائر لا يخلو من مبالغة لان

ذلك لا يحصل ولا بالاستقراب اذ قد شوهد احيانًا ان مزروعات الذره وقصب السكر بعد ان تنضب المياه التي تكون غمرتها تعود الى قوتها ونموها باحسن ما كانت وجميع هذه التعديلات ليست مما يستند الى صدقها كل الاعتماد لانها على النيل فقط ولم تظهر بعد التعديلات الرسمية ليركن اليها في ذلك

انما اذا راجعنا مقياس النيل منذ عشرين سنة في معظم ارتفاعهِ لا نرى مثلاً لارتفاعهِ الغير المعتاد هذه السنة وهاك معظم الارتفاع المذكور

سنة		ذراع نيلي	اي س متر
١٨٥٤	٢٩ سبتمبره	٢٢.٢٣	٧.٥٥
١٨٥٥	١٠ .	٢٠.١٨	٦.٣٠
١٨٥٦	٣ اتوبره	٢٤. ٨	٧.٧٥
٥٧	٣١ سبتمبره	٢١.٢٢	٦.٤٨
٥٨	٦ .	٢١.١٤	٦.٤٠
٥٩	٢٧ اتوبره	٢١: ٧	٦:٣٢
٦٠	١٧ :	٢٤: ٥	٧:٦٧
٦١	٢٧ سبتمبره	٢٤:١٦	٧:٩٢
٦٢	٢٢ اتوبره	٢٣ —	٧: ٤
٦٣	٣٠ سبتمبره	٢٥: ١	٨:١١
٦٤	٣٠ :	١٩:٢١	٥:٩٥
٦٥	١٨ اتوبره	٢٢:٢٣	٧: ٢
٦٦	٢٧ سبتمبره	٢٥:١١	٨:٢١
٦٧	١١ :	٢١:٢٢	٦:٤٦
٦٨	٢٧ اغسطوس	١٩:١٢	٥:٨٧
٦٩	١١ اتوبره	٢٥:١٥	٨:٤٠
٧٠	١٤ :	٢٤:١٧	٧:٩٢
٧١	٢٧ سبتمبره	٢٣:١٦	٧:٣٨
٧٢	٣٠ اتوبره	٢٤: ٣	٧:٦٣
٧٣	١٤ سبتمبره	٢٠:١٢	٦: ٨
١٨٧٤	٨ اتوبره	٢٦:١٢	٩:—

فمن هنا يلاحظ عظم الخطر الذي كان متهيئًا لولا التيقظ التام والمبادرة لتحصين الحواجز وفتح الترع. اما النشاط الغريب المستحق كل ثناء ومديح الذي ابدته الحكومة الخديوية في جمع الفعلة الى ان اناف عددهم عن المائتي الف وسهرها على الاعمال نهارًا وليلاً حيث كانت تنتشر الانوار والمشاعل بما لا يحصى على طول جانبي النهر والحراس لا تغفل عن ملاحظة تعالي المياه وتحصين الحواجز فهو الذي عاد على البلاد بالخلاص من خطبٍ لو عزمت على مصادمتهِ بكل قوتها لعمّ بلاؤهُ. وفي كل عصر قد امتازت الاسرة الحاكمة في ردع تهددات النيل ففي احدى السنين اذ خشي الفيضان حركت الحمية ساكن الجنان ابرهيم باشا المشهور بعلو الهمة والاقدام فاخذ يجول بنفسهِ لجمع الفلاحين فكانوا يرتعدون لصوتهِ ويتقاطرون الى حيث الخطر مزدادين نشاطًا ونخوةً بنظرهم يد سيدهم في العمل معهم ونرى اليوم تكرار ذلك في انجال الحضرة الخديوية الفخام ورجالها الكرام الذين حضروا مكان الخطر وشددوا قلوب الاهالي وسكنوا اضطرابهم فاقدموا على العمل بجدٍ وجلدٍ غريبين وهبت النساء والشيوخ معهم فحولوا الترع الكبيرة والقموا الحجارة صفوفًا كمتاريس منيعة لصدم كرات عدوهم وكان شمول الخطر يجعل كل فردٍ منهم يذب بنشاط وثبات في مقاومة عنصر المياه علمًا منه ان دفعه يدرأ سهم العطب عن صالحهِ الخاص فضلاً عن الصالح العام وهكذا ثبتوا امام هجماتهِ نهارًا وليلاً منتصبين قلبًا واحدًا على مطاردتهِ الى ان كبحوا قوتهُ وكفوا اذاهُ

ولما كانت القلوب والرزه والحمد لله قد فاتت مثقلة شكرًا وممنونية لتلك العناية الداورية التي مرجع الفضل في كل حال اليها الباذلة في سبيل راحة رعاياها كل ما عز وهان رامت تخليد ذكر خلاصها

بتخليد اسم مخلصها ففتح اكتتاب في مقدمتهِ احد تجار الايطاليان بالاسكندرية لاشارة بناء يحمل على صدرهِ الى الاعصار المقبلة تذكار الطوفان الذي تهدد البلاد وحكمة خديويها في جزر طغيانهِ ولا ريب ان هذا المشروع الحميد يصادف تمام النجاح ويبادر الاهلون الى الاكتتاب بنجاحهِ اشعارًا بممنونيتهم فباني البناء خالدًا بالبلاد وبخديويها الاعظم دام غرةً في جبين عمارها وانجالهِ بدورًا في سماء افتخارها

من الاسكندرية في ١٥ (تشرين الاول) اتوبره سنة ١٨٧٤

قسطنطين قطه

الجسارة

حكي ان كسرى اراد ان يوجه عيرهُ (وهي كل ما حمل عليهِ من جمال او بغال او حمير) الى سوق عكاظ ببلاد العرب، وكانت سوق عكاظ اذ ذاك اعظم سوق من اسواق العرب وكانت العرب تسير اليها من اقطار اراضيها فيبيعون ويشترون ويتفاخرون وكانت تكون ثلاثة ايام متوالية في كل عام مرة. فاحب كسرى ان يوجه الى تلك السوق لطائم ليبيعها هناك ويشتري بثمنها خيلاً عرابًا وابلاً وحلل اليمن والسيوف اليمانية وورس وادم فخاف ان يتعرض لها بعض احياء العرب فياخذوها فكتب الى النعمان يامرهُ ان يوجه اليهِ من يحضرها ممن اشراف العرب فوجه اليهِ بالحاجب بن زرارة التميمي والربيع بن زياد العبسي والحرث بن ظالم المرّي وقيس بن مسعود الشيباني فساروا حتى وافوا المداين ودخلوا على كسرى فقرَّب مجالسهم واظهر السرور بقدومهم وقال اني اريد ان اوجه لطائم الى سوق عكاظ فيُشترى لي بثمنها ظرائف فسكت القوم فتكلم حاجب قال ايها الملك اناها حتى تبلغ وفي رجوعها متى تصل فقال كسرى ان قيمتها ثمانية الاف الف درهم ولا بد من زعيم يضمنها او رهن يطرح عندي. فتناول الحاجب قوسهُ من عاتقهِ وقال هذي قوسي رهن عندك حتى ترجع العير اليك. فامر كسرى بالقوس فاخذت وادخلت الخزانة وقال رضيت يا ابن زرارة ثم توجهت العير فركب الحاجب معها حتى انتهت الى ارض تميم فاقام في اهلهِ ووجه ابنهُ زرارة فانطلق بها حتى وافى سوق عكاظ فاقام مع الرسل حتى باعوا اللطائم واشتروا ما ارادوا ثم انصرفوا وزرارة معهم حتى اتوا بلاد تميم ثم اقام زرارة في اهلهِ واقبل حاجب بالعير حتى قدم بها على كسرى. فقال كسرى لا ادري ايُّنا اعظم جسارة انا حين رضيت من حاجب بقوس لا تساوي عشرة دراهم بازاء ثمانية الاف الف درهم، ام حاجب حين اجار لي عيرًا قيمتها ذلك. ما في العرب مثل حاجب. ثم امر بتاج فصُنع لهُ منظومًا بالجوهر فوضعهُ على راسهِ وكساهُ قبًى من اقبيتهِ منسوجًا بالذهب مفصّصًا بالجوهر وبعث الى ابنهِ زرارة بصلة جزيلة. انتهى

نبذة تاريخية. في الديار المصرية

(من قلم رفعتلو اسكندر افندي ابكاريوس)

انهُ من دلائل الآثار. ومطالعة التواريخ والاخبار. يتضح لكل حاذق نجيب. وماجد اديب. ان المصريين قد تقدموا قديمًا. في انواع العلوم والمعارف تقدمًا عظيمًا. مع مقابلة هذه الايام المتمدنة. بالنسبة الى هاتيك الازمنة. فان مجاهدة السحرة مع موسى وهارون. في ايام منفطا فرعون. تدلّ على طول باعهم. وقوة ذراعهم. في المعارف الطبيعية. والفلسفة الكيماوية. واعتنائهم في جميع العلوم. ولا سيما علم الافلاك والنجوم. كيف لا

وهم الذين قسموا ابراج الفلك الى اثني عشر. واكتشفوا على كسوف الشمس وخسوف القمر. وعملوا الحسابات المدققة. والطلاسم المحققة. حتى اصابوا وبرعوا. وولّدوا واخترعوا. وعرفوا اوقات الكسوف. وساعات الخسوف. وكانت لهم براعة ومعرفة. في صياغة الذهب والفضة والاواني المختلفة. كالقلائد والخواتم المرصعة بالجواهر. وغيرها من كل نفيسٍ فاخر. مما تعجز عن صياغتهِ مَهَرة العصر الحاضر. وكانوا يعتنون غاية الاعتناء. في صناعة البناء. وقد بلغوا فيها الغاية. وتوصلوا بها الى درجة النهاية. فاذا امعنا النظر. ودققنا الفكر. في تلك الهياكل العظيمة العجيبة. والاعمدة المنتصبة بين خرائب ثيبه. التي يمتد تاريخها الى ما قبل المسيح بالفي سنة. المنقوشة بانواع الصور والكتابات الحسنة. اندهلنا من غرابتها. وحسن نقشها وكتابتها. ولا سيما الاهرام. التي تعجز عن وصفها الالسنة والاقلام. وقد ذكرناها قبل الان. في العدد الخامس عشر من الجنان. عند ذكر ماثر الحضرة الخديوية. ووزراء الحكومة المصرية* حفظهم رب البرية. واما مدينة ثيبة المذكورة. فكانت من اعظم المدن المشهورة. عظيمة البنيان. بديعة الاركان. ذات قدرٍ وشان. ولولا الرسوم الباقية الان من مبانيها. لما امكننا تصديق ما قيل فيها. وقد ذكر رواة السير. وعلماء الاثر. انهُ كان لها مائة باب وعلى كل باب قلعة. فيها خمسة الاف مقاتل من اهل النجدة والمنعة. وامتداد دهاليزها يومين. وقيل ان اهلها كانوا يبلغون في العدد نحو مليونين. وما زالت في زهوتها. وحسن رونقها وبهجتها. الى ان فتكت بها يد الزمان. وطرقتها طوارق الحدثان. فسقطت حصونها الحصينة. وانهدمت ابراجها المتينة. تحت رايات الاكاسره. واقدام الابطال والجبابرة. وصارت بعد ذلك الحسن والجمال. والبها والعظمة والجلال. ماوى للوحوش والهوام. ومساكن البوم والنعام. وخرائبها في هذه الايام. متفرقة على جوانب شاطي النيل. وفيها كثير من الصور والتماثيل. والسياح تقصدها للفرجة من ابعد الامصار. لما فيها من عجائب الاثار. التي تدهش البصائر. وتذهل العقول والنواظر. ومن اثارها العجيبة. وتماثيلها الغريبة. الصنم الكبير. والتمثال الشهير. الذي اقامهُ الملك امنوفيس. ابن فرعون طوطميس. وكان المصريون. يسمونهُ بالمنون. ويعتقدون فيهِ الالوهية. ويميزونهُ على باقي معبوداتهم الوثنية. وكان هذا التمثال. في سالف الاجيال. يسمع منهُ طنينٌ عند الصباح. اشد من هبوب الرياح. فكان يتاثر من ذلك. ارباب السياحة وقطاع المسالك. ويتعجبون غاية العجب. ولا يعلمون السبب. وكان يظن بعض فلاسفة الرومانيين. وحكما الفرس واليونانيين. ان هذه الاصوات. وتلك الحركات. ليست من الاسرار الالهية. بل كانت فيهِ خاصة طبيعية. من اثر الندى والرطوبة. ومرور الرياح في الصخور المثقوبة. غير ان الامتحان. في هذا الزمان. قد كشف الحجاب. ورفع النقاب. واظهر الاسباب. وعرف ان مصدر ذلك الطنين. انما كان نفاق كهنة المصريين لتنفيذ كلمتهم على امتهم بواسطة هذه الاحتيالات. والاكاذيب والخزعبلات. وذلك ان السار كاردنر ولكنسن احد اعيان الانكليز. الموصوف بكمال المعارف والتمييز. لما اتى للفرجة على هذا الصنم. وجد في جوفهِ حجرًا اصم. اذا ضربهُ احد الناس. سمع لهُ صوتٌ كرنين النحاس. فكان الكاهن يدخلهُ في وقت السَحَر. ويقرع صدرهُ بذلك الحجر. فلا يشعر بهِ احد. من اهل ذلك البلد. وبقيت اكاذيب اولئك الكهنة. مستترة اكثر من ثلاثة الاف سنة. حتى اتى ولكنسن المذكور. وكشف حجابها المستور* وكانت لغتهم من اصعب اللغات. وكتابتهم

من اعجب الكتابات . لانها لم تكن تكتب باحرفٍ هجائية . بل باشاراتٍ مستعارة من الاشباح الطبيعية . وهي على نوعين . عجيبين غريبين . الاول كان يشير الى اصوات نطقية . ومعانٍ مفردة عقلية . يدلون عليها ببعض النقوش . من صور الطيور والوحوش . واما الثاني فكانت مداولاته مستترة . تحت هيئة اشباح تدلُّ على جملٍ مختصرة . وكان هذا النوع مخصوصًا في رؤساء الكهنة فقط . فلم يكن يعرفه احد من عامة الشعب قط . وبقي هذا القلم مجهولاً بين الامم . مدة مديدة . واجيالاً عديدة . حتى اهتدى الى معرفة اسرارهِ . وحل رموزهِ وكشف اخبارهِ . العالم العلامة والحاذق الفهامة . صاحب المؤلفات الفلسفية . والمصنفات التاريخية . المعلم شنبليون الفرنساوي سنة ١٨٢٢ مسيحية * وكان لهم الباع الطويل . في الكتابة ونقش الصور والتماثيل . حتى انهم كانوا يكتبون . وينقشون ويصورون . على الاعمدة والصخور . كما على الهياكل والقصور * واما تجاراتهم في تلك الاجيال . فكانت محصورة في ما يخرج عندهم من المعادن والغلال . وكان لهم اتصال مع الديار الهندية . بواسطة البلاد العربية . فكانوا يرسلون الى تلك الجهات والاماكن . ما راج عندهم من الحبوب والمواشي والزجاج والفخار والمعادن . ويستبدلون بها منهم اللؤلؤ والياقوت . وغير ذلك من حوائج الزينة والقوت . وكانوا يستجلبون من البلاد الشامية البرفير والديباج . ومن بلاد الحبشة ريش النعام والعبيد والذهب والعاج * وكانوا يعتنون غاية الاهتمام . بجثث موتاهم من خاصٍ وعامٍ . ولذلك حفروا تلك المدافن المتسعة وبنوا تلك الابنية الهائلة المرتفعة . وصرفوا الاموال الجزيلة . والاوقات الطويلة . على تحنيط الاجساد . لوقايتها من البلى والفساد * واما احكامهم الملكية . وقواعد تنظيماتهم السياسية . فكانت مقيدة بوجود المجالس والدواوين . ومحدودة بحسب الشرائع والقوانين . وكانت اوامر الملك وقوة سطوتهِ . نافذة في جميع رعيتهِ . وكان حكمهُ يشتمل على ركنين . وامرين مهمين . احدهما تدبير احوال الرعية . وثانيهما القيام بواجبات الامور الدينية . اما الكهنة فكانوا اصحاب الشرائع والعلوم . وبيدهم ازمة الجمهور . وما منهم الا من له مقامٌ معلوم . في تقلد الوظائف وسياسة الامور . فكانوا يمسحون اراضي البلاد . ويوزعون الخراج على العباد . وكان للملك في مدينة منفَ . كرسي المملكة ومقر الاكابر من ذوي الشرف . ديوان كبير لاجراء القوانين والاحكام . واستماع دعاوي الخاص والعام . وهو مركّب ومؤلّف من ثلاثين قاضٍ من العمد . الذين عليهم المعتمد . وكان اودهم على نفقة الحكومة . ومرتباتهم من الخزينة محدودة ومعلومة . وكانوا عند دخولهم في هذه الخدمة . والرتبة السامية المهمة . يحلفون على انفسهم بقسمٍ قاطع . انهم لا يخرجون عن دائرة العدل والقوانين والشرائع . بل يحكمون بالعدل والانصاف . وينهون عن الجور والاعتساف . ولا يميزون بين الاصاغر والاشراف . وكان رئيس هذا الديوان . يجلس في صدر المكان . ويلبس في عنقهِ طوقًا من الذهب . مرصعًا بانواع الجوهر المنتخب . معلقًا فيهِ تمثال . على شبه شخص اعمى مصنوعٌ من اللآل . دليلاً على الصدق . والعدل والحق . وكان عندهم لكل ذنبٍ عقوبة . ولكل حسنةٍ مثوبة . فكانوا يعاقبون على الرذائل والخيانة . والكذب وعدم الامانة . عقابًا اليمًا . وقصاصًا عظيمًا . وكان الزناء عندهم من اكبر العيوب واعظم المعاصي والذنوب . حتى انهُ اذا ثبت على احد . ولو كان من اكابر العمد . انهُ اغتصب امراة من حرائر النساء . كانوا يحكمون عليهِ بقطع آلة الزناء . واذا وقع ذلك برضى الفريقين . وقعت

العقوبة على الجانيين. فجلدوهُ الف عصا وحكموا بقطع انفها. لتشويه حسنها وظرفها. حتى تنفر قلوب الرجال منها. وينقطع ميلهم اليها ويبتعدوا عنها * ومن عوائدهم الغريبة واصطلاحاتهم العجيبة. انهُ اذا احتاج انسان. الى قرضة مبلغ مهما كان. يذهب الى من يعتمد عليهِ. ويقترض منهُ المبلغ المحتاج اليهِ. ويودع عندهُ جثة ابيهِ على سبيل الرهن. ولا يسوغ لهُ ان يسترجعها حتى يفي دينهُ وان مات بدون استخلاصها لا يؤذن لهُ بالدفن * ومن اكبر العجائب. انهم كانوا ينفرون من الغرباء والاجانب. فلا يتناولون معهم طعامًا ولا يعتبرون لهم مقامًا. بل ينظرون اليهم بعين الاحتقار. ويعاملونهم بالجفاء والاستكبار. وكانوا مع حسن سياستهم. وقوة ذكائهم وفراستهم. وتقدمهم في انواع المعارف والعلوم يعبدون الاوثان والنجوم. دون الحي القيوم. وكان لهم طريقتان فيما يتعلق بالمذاهب الدينية. احداها كان يمارسها عامة الرعية. ولم تكن الا مجموع عقائد وحشية دنيئة. كعبادة الطيور والوحوش والبقر. والسجود للشمس والنجوم والقمر. فكانوا يعبدون الشمس تحت اسم اوسيريس. والقمر تحت اسم ايسيس واما الثانية فكانت تمارسها الكهنة. وهي مؤلفة من قواعد غامضة خشنة. وكانوا يعبدون الثور ابيس. في مدينة منف او منفيس. ومن فرط اكرامهم. وكثرة احترامهم. لهذا الحيوان. دون غيرهِ من الاوثان. بنوا لهُ اعظم المعابد. وافخر الهياكل والمساجد واحتفلوا لهُ الاحتفال الزائد. والامر واضح ان الاسرائيليين. لما زاغوا عن حدود الدين. ورفضوا الوصايا المعطاة لهم من رب العالمين. عن يد موسى في طور سينين. عبدوا العجل اقتداء بالمصريين. ومن جملة عوائدهم. وغلاظة عقائدهم. التي تقشعر من ذكرها الابدان. وتمج سماعها الاذان. انهُ يجوز للاب ان يتزوج بابنتهِ. والاخ بجارهِ واختهِ. وكانوا على انواع مختلفة. وآراء غير مؤتلفة. في المذاهب والاعتقادات. بما يكون بعد الممات. فمنهم من آمن واعتقد. ان النفس بعد انفصالها من الجسد. تنحدر للمحاسبة الى الجحيم. وتقف امام منبر اوسيريس اله الشمس العظيم. فان كانت صالحة. نالت السعادة. وبلغت الارادة. وان كانت طالحة. برز القضاء من ذلك المشهد. حاكمًا عليها بالهلاك المؤبد. ومنهم من اعتقد بتناسخ الارواح. الى حالة اعلى او ادنى بحسب حالة الميت في المعصية والصلاح. فان كان في اعلى طبقة من البر والاستقامة. انتقلت نفسهُ الى اعلى طبقة من الناس وفاز بالكرامة. وان كان سيء الاخلاق والصفات. مذموم الاعمال والتصرفات. انتقلت الى الوحوش والحيوانات. وما يتفق ميلادهُ من البهائم في الكائنات. وتستمر على تلك الحال. من المشقة والوبال. جملة دهور واجيال. ثم ترجع الى اجساد انسانية. وهياكل بشرية. وقد وجد بين الخرائب والآثار. كثير من هذه القصص والاخبار مكتوبة على الصخور. واعمدة الهياكل والصور. وكان اذا مات منهم انسان. سواء كان من الصعاليك او الاعيان. مزقوا ثيابهم عليهِ. وبكوا اثنين وسبعين يومًا حواليهِ. ثم يأتون بجثتهِ محنطة مصبرة. الى امام كرسي القضاة قبل اخذها الى المقبرة. فان كان الميت محمود السيرة. مشهودًا لهُ بالصلاح وحسن السريرة. برز الحكم بدفنهِ مكرمًا. مبجلاً محترمًا. وان كان قبيحًا شريرًا. دفن على خلاف اللائق مهانًا حقيرًا. ولو كان من اكابر الوزراء. واشرف الناس والامراء. ويقال ان كثيرين. من الفراعنة والسلاطين. حُرموا واجبات الدفن الاحتفالية في قبورهم. لشقاوتهم وكثرة شرورهم. بعد ان صرفوا مالاً جزيلاً. واضاعوا زمنًا طويلاً. من السنين والاعوام. في ترتيبها داخل الاهرام

تاريخ فرنسا

وكان مصدر هذه الاعمال تدبير وليم بت وكان من اعقل اهل زمانه واحذقهم غير انه كان لا يشعر بالحاسيات اللطيفة التي تزين الانسان فانه لم يكن والدًا ولا زوجًا ولذلك لم يكن عندهُ من الحنو والشفقة ما يلجم حكمه في الصوالح . وعند بلوغ خبر تعدي انكلترا على مراكب فرنسا بدون اشهار الحرب نشر بونابرت الاعلان الآتي في جريدة المونيتور

انه لما كانت حكومة الجمهورية قد تحققت وزير البحرية والمستعمرات بقرارٍ محررٍ من الرئيس البحري في برست مآله ان بارجتين انكليزيتين اسرتا مركبين تجاريين في خليج اوربو بدون ان يسبق ذلك اشهار الحرب وكان ذلك مخالفًا للقوانين الدولية كان من الواجب ان يصير جعل كل الانكليز الذين سنهم بين ١٨ و٦٠ سنة وهم في فرنسا اسرى حرب وكذلك كل الانكليز الذين في يدهم امورية من جلالة ملك الانكليز وذلك مقابلة للذين ربما كان قد صار اسرهم من تبعة الجمهورية الفرنساوية بواسطة مراكب جلالة ملك الانكليز او رعاياهُ قبل اشهار الحرب

(الامضاء) بونابرت

وعامل بونابرت الذين اسرهم من الانكليز باكرام ولطف ولم يجعل في الاسر الحربي الا الذين كانوا في الخدمة العسكرية اما الباقون فتعهدوا له بانهم لا يهربون فعين لهم اماكن حصينة لاقامتهم ومنحهم حرية ليست بقليلة . اما الانكليز فوضعوا الاسرى الفرنساويين في مراكب بدون صواري فان من عاداتهم القديمة ان يتخذوا مراكبهم القديمة التي لا تصلح للسير سجونًا وكانوا يضعون كثيرين منهم في مكان صغير حتى انهم باتوا في ضيق وشدة لا مزيد عليها . وكثيرًا ما خطر لبونابرت ببال ان يعامل الاسرى الانكليز كمعاملة الانكليز للاسرى الفرنساويين وذلك ليلزم الانكليز بتخفيف معاملة الفرنساويين المأسورين عندهم غير انه كان من اهل الشفقة الذين يحافظون على حقوق الانسانية ولذلك لم يقدر ان يتجاوز قواعدها وهكذا نجا الاسرى الانكليز من المعاملة القاسية وهذا من توفيقات بونابرت . ولما بلغ وزارة انكلترا خبر القاء بونابرت القبض على المسافرين الانكليز الذين كانوا في فرنسا اقاموا الحجة واعترضوا عليه واي اعتراض فاجابها بونابرت بانك قد اسرت المسافرين في البحار حال كونهم مستأمنين على انفسهم . فقالت انكلترا من العادة ان نغتنم كل ما يخص العدو في البحار ولذلك يسوغ لنا ان نأسر الفرنساويين الذين قد اسرناهم . فاجاب بونابرت انني ساجعل العادة الجارية عندكم في البحار جارية في البر فتصير حقًا . وكان ذلك نهاية المخابرات بهذا الشان غير انها لم تنفع الاسرى الابرياء الذين كانوا يهلكون في مراكب انكلترا القديمة ولا الذين كانوا يتيهون حول حصون فرنسا . وفي اثناء ذلك طلب بونابرت الى انكلترا ان تبدل السياح الذين اسرتهم في البحار من الفرنساويين بالسياح الذين اسرهم هو في البر من الانكليز سائحًا بسائح غير ان وزارة انكلترا قالت ان قبولها بذلك تقرير لاسر بونابرت السياح في البر ولذلك لم تجب طلبه وتركت اولئك الاسرى المنكودي الحظ في ضيقهم رافضة طلبه دوسًا على حقوق الانسانية . فاظهر بونابرت للاسرى الانكليز تكدرهُ من وجودهم على تلك الحال غير انه قال لهم ان نوالهم الحرية التامة ورجوعهم الى بلادهم بات متعلقًا بحكومتهم ولذلك من الواجب ان يطلبوا اليها ان ترحمهم . وكان من اسهل الامور على انكلترا ان تقبل بذلك البدل مراعاة لحقوق الانسانية حال كونها تلزم الحجة على صحة اسر السياح برًّا . وقد

قال بونابرت للانكليز بعد ذلك بهذا الشان اي بعد نهاية الحرب بزمان ليس بقصير ان وزراءكم اقاموا تذمرات شديدة لانني اسرت السياح الانكليز في فرنسا مع انهم كانوا قد فعلوا نفس ذلك الفعل بحرًا بواسطة اسر كل المراكب الذين تمكنوا من اسرها واسر كل الذين فيها وذلك في وسط البحار او في المواني وذلك قبل ان اشهروا الحرب وقبل ان اسرت رجلاً انكليزيًا في فرنسا . فقلت لهم اذا كنتم تاسرون السياح الفرنساويين في البحار حيث تقدرون ان تجروا ما ترغبون في اجرائه بادر الى اسر السياح الانكليز في البر فان سطوتي فيه كسطوتكم في البحار غير انني بعد ذلك طلبت اليهم ان يطلقوا سبيل كل الاسرى الفرنساويين مع امتعتهم المستغنمة لاطلق سبيل كل الاسرى الانكليز . غير ان وزراءكم لم يقبلوا بذلك . ومن عاداتهم ان لا ينشروا كل الحقائق الا عندما يرون انه لا سبيل الى مجانبتها اذ انها ستنتشر بوسائط اخرى . ومن عاداتهم ان يكتموا الامور او يجعلوا لها التاويلات المناسبة لهم . انتهى . فهذه في الحرب ولو كان المتحاربون من امتين متمدنتين محبتين للانسانية كالامة الانكليزية والفرنساوية . وهذه هي الافات الانتقامية التي لا غنى للامم عنها عند شبوب نيرانها . وهذه هي عادات الحروب وشؤونها ولا تنفك عنها الى الابد فانها توقع ويلاتها على الابرياء الذين لا علاقة لهم بها . وكان قد حل على بونابرت ويل عظيم فاوقع باعدائه ويلاً مثله بسلطان نافذ وسرعة موافقة للظروف .

وبعد ذلك اشتد هيجان الامتين واي اشتداد وشرعتا في توجيه كل اجتهاداتهما الى القيام بالحرب . اما سلطان فرنسا وتدبيرها فكانا في يد رجل واحد عظيم وصل الى رياستها براي الامة كلها والنادر كالعدم . ولذلك تحول الحرب من حرب عمومية الى حرب موجهة الى رجل واحد وهو بونابرت لان سلطان كل الامة وتدبيرها كان في يده . ولم تكن فرنسا متاهبة للرجوع الى الحرب فان بونابرت كان قد صرف كل قوته المالية والادبية في الاصلاحات الداخلية وكان قد صرف قسمًا عظيمًا من الجيش وجعل عددهُ موافقًا لزمان السلام . على ان فرنسا كلها استيقظت فنهضت اجتهاد بونابرت الذي لم يكن يسكن لحظة واحدة . ومن المعلوم ان ملك انكلترا هو حاكم (منتخب) بلاد هانوفر وكانت له ولذلك بعد ان اطلق الانكليز مدفعهم الاول باقل من عشرة ايام حمل جيش فرنساوي على بلاد هانوفر وعددهُ عشرون الفًا فاسر جيشها وعددهُ ١٦ الفًا من الجنود وغنم اربعمائة مدفع وثلثين الف بندقية وثلثة الاف وخمسمائة فرس وتولى على كل البلاد . فلما بلغ ملك انكلترا خسران بلاده الموروثة اضطرب جدًا وعلى الخصوص لان ذلك كان قد جرى وهو على غير استعداد . وبعد ان فتح بونابرت هانوفر ارسل رسلاً الى انكلترا ليطلبوا الصلح وقال لهم بواسطتهم انه فتح هانوفر ليس ليتولاها ولكن لتكون ضمانة تضمن خروج الانكليز من مالطة واجراء معاهدة اميان . فاجاب وزير انكلترا رسل بونابرت بان الملك سيطلب الى الامبراطورية الالمانية بان تساعدهُ في ذلك . وقد قال بونابرت انه اذا تُعقد صلح امكن من ان اجعل اهالي اوربا يعرفون ميلي الحقيقي فاصير موطد المبادي المعتدلة في اوربا . فان فرنسا ذات تمدن عالٍ حال كونها خالصة من السطوة الاميرية ولذلك تقدر ان تعدل مبادي الحزبين اللذين باتا سائدين في العالم بواسطة الملوك في المبادي المتوسطة بينهما فتمنع اضطراب عام لا تعلم نهايته ويلزم لاتمام ذلك عشر سنوات من السلام غير ان اهل السلطان الاميري في انكلترا لا يسمحون بذلك

وهكذا نرى ان الانكليز ساقوا بونابرت الى

الحرب على غير ارادته وحركوا دول اوربا الى الاتحاد لمقاومته. فالتزمت فرنسا كلها ان تصير معسكرًا وجعلت بونابرت بذلك حاكمًا مطلقًا. ومن المعلوم انه لولا اتساع الاوقيانوس الاتلانتيكي لوقعت اميركا عند مجاهرتها بالجمهورية تحت ما وقعت فرنسا تحته بواسطة اتحاد دول اوربا الملكية والامبراطورية. اما بونابرت فكان راغبًا على الدوام في ان يكثر مستعمرات فرنسا لتقوية تجارتها وتوسيع دائرتها ولذلك اشترى مقاطعة لويزيانا من اسبانيا وهي مقاطعة في اميركا فانه كان مصممًا على ان يهتم كل الاهتمام بانشاء مستعمرة فرنساوية على شاطئ نهر المسيسبي الخصب فامست هذه الولاية التي اشتراها عرضة لهجمات انكلترا بعد فتح الحرب الاخيرة على ان بونابرت لم يضيع دقيقة واحدة سدى لتخليصها بواسطة بيعها لحكومة اميركا ولم يتم له ذلك الا لضيق النفس غير ان للضرورة احكامًا. وبعد فتح هذه الحرب بات الفرنساويون في كل مكان عرضة لهجمات البوارج الانكليزية ولنعد بابها فوقعت على المصيبة بعد مصيبة بدون شفقة ولا رحمة فان ثغورها امست محصورة وكانت مدافع الانكليز تطلق الكرات عليها فاستولى الانكليز على مستعمراتها وخربوا تجارتها. فان قوة الانكليز في البحر كانت اعظم بدون ريب حتى انه ايما وقع قتال فيه كان الفوز لهم. ومن اصعب الامور الحمل على انكلترا في تلك الظروف فانها جزيرة تحميها بوارجها القوية فكانت راتعة في راحة وطمانينة وهي تصب نيران الويل والهوان على كل اعدائها في جميع اقطار العالم. ومن المعلوم ان بونابرت قال لسفير انكلترا في باريز ان الحمل على انكلترا جسارة مخيفة جدًّا. انتهى. ومع انه كان يعلم ذلك راى انه لا بد له من ذلك اذ انه لم يكن له سبيل الى الدفاع الا بالحمل عليها. وشرع في الاستعداد لذلك العمل العظيم شروعًا مستندًا كل الاستناد الى الجهد والحذق ومعرفة المستقبل من الحاضر والدراية. حتى ان العالم كان ينظر الى عمله العظيم بتعجب ووقع الخوف في قلوب كل الانكليز. ومن المعلوم ان بين انكلترا وفرنسا مضيق من البحر عرضه ٢١ ميلًا وكان لا بد له من قطعه للوصول الى انكلترا حال كونها اعظم دولة في البحر بل كانت وحدها اقوى من كل قوات الدول معًا. فاخذ في القيام باستعداداته على شاطئ ذلك المضيق وكانت من اعظم الاستعدادات التي جرت في العالم وكان قاصدًا قطع المضيق والحمل على انكلترا. فجمع جيشًا عدده ثلثمائة الف رجل جمعًا يشابه جمع الجنود في حكايات السحر اذ ان فرنسا تحركت كلها. وبنى في مدة قصيرة الفي قارب من التي تحمل مدفعًا واحدًا صغيرًا وجمع هذه القوارب في بولون. وكان المقصود من ذلك نقل مائة وخمسين الف رجل وعشرة الاف فارس واربعة الاف مدفع من شاطئ فرنسا الى شاطئ انكلترا. وكانت كل معامل فرنسا مشتغلة في صنع المدافع الصغيرة والكبيرة والاسلحة. حتى ان نشاط بونابرت انتشر في كل ولايات فرنسا ونشط الاهالي بقوة تكاد تكون فوق القوة البشرية. وكان يعتني باصغر الاعمال ومع انه كان يعتقد بالمقدر الذي تجري كل الامور بحكمه لم يكن يترك شيئًا يجري من تلقاء نفسه حتى انه اخذ في الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث كل ما ربما كان يحدث من الموانع والتعسرات. واشتد هيجان الفرنساويين وتحركت فيهم حميتهم باجماع واتفاق فانهم راوا انه لا سبيل الى دفع ذلك العدوان الا بذلك حتى ان بونابرت تمكن من ان يجمع جيشًا من المتحزبين للملكية الذين كانوا قبل ذلك بمدة قصيرة يحاربون حكومة بلادهم وهذا تاكيد اركانه الى اتحاد فرنسا وحبها لوطنها

ولا يخفى ان حربًا عظيمة كهذه الحرب لا تقام بدون مصاريف كثيرة فالتزم بونابرت ان يجمع ربحًا كثيرًا من الاهالي فبادر الاهالي الى دفعه بالشكر حتى ان كثيرين من الاغنياء كانوا يرسلون الهدايا الثمينة من النقود الى خزينة الجمهورية ليصرفوها في الدفاع عن ذمارها وهذا جميعه برهان حب الاهالي لبونابرت واركانهم اليه وانهم شارعون في حرب سينقلوا اليها على غير رضاهم بواسطة عدوان جارتهم واعمالها على منع تقدم امة اخرى . وفي ولاية من الولايات بنيت بارجة كبيرة من مال الاهالي وسلحت وارسلت هدية للحكومة في بولون . حتى ان الاهالي كانوا يتسابقون الى تقديم عطاياهم واظهار رغبتهم في عضد الحكومة . فكانت المدن الصغيرة تهدي الحكومة قوارب ذات قعر مبسوط والمدن المتوسطة كانت تهديها بوارج من نوع الفرقاطة والمدن العظيمة بوارج عظيمة جدًا . فاهدتها باريز بارجة محمولها ١٢٠ مدفعًا وليون بارجة محمولها مائة مدفع وبوردو ٤٨ ومرسيليا ٧٤ حتى ان نفس جمهورية ايطاليا اهدتها مليون ريال اظهارًا لتعلقها بها وذلك لتبني بارجة بها . وكانت كل المحلات التجارية الغنية والشركات العمومية تهديها مبالغ غير قليلة . ووهبها مجلس النواب بارجة محمولها ١٢٠ مدفعًا . فمجموع الهدايا الاختيارية كان اكثر من مليونين ونصف مليون ليرا فرنساوية . اما بونابرت فاقام في بولون وكان يصرف قسمًا من وقته في تدقيق البحث في حالة الشواطي وتغييرات الجزر وفي تنظيم الامور اللازمة للقيام بتلك الحملة المخيفة . وكانت التوفيرات جارية في كل اعمال الحكومة وصفقاتها الابتياعية ولم يكن يسمح باقل تبذير وكانت مالية الدولة في انتظام تام . ومن المعلوم ان حدوث حرب كهذه الحرب بين فرنسا وانكلترا لا بد من ان تجر غيرها من دول اوربا الى المداخلة . ولذلك اقام الحجة الامبراطور اسكندر الروسي مرات كثيرة على تجديد الحرب في اوربا وطرحها في ويلاتها وخرابها وطلب الى الدولتين ان تسمحا له بالمداخلة لتقرير تسوية بينهما . فاجاب بونابرت بالحال انني ارتضي بان اجعل الامبراطور اسكندر محكمًا في فصل الخلاف واتعهد كتابة بتنفيذ حكمه مهما كان . انتهى . اما انكلترا فلم ترتض بالمداخلات السلمية . وعند ذلك وضعت روسيا وسائط لنهي الحرب . فقال بونابرت انني لا ازال مرتضيًا بان اقبل بحكم امبراطور روسيا الشخصي فان مراعاته لصيته تحمله على الحكم بالعدل . غير انني لا اقبل بان اخضع لمخابرات صادرة من وزارة روسيا صدورًا ليس فيه شيء يدل على الصداقة لفرنسا . الى ان قال في ختام الجواب ان القنصل الاول قد افرغ كل جهده في سبيل المحافظة على السلام غير انه قد ذهب تعبه سدى ولذلك لم يقدر ان يمنع نفسه عن ان يرى ان الحرب من الامور المقدرة ولذلك سيقوم بها بدون تردد امام امة متكبرة قدرت ان تجعل كل امم الارض تجثو امامها مدة عشرين سنة . انتهى

وفي اثناء ذلك صمم بونابرت على ان يذهب الى البلجيك والى ولايات الرين وكانت جوسفين معه . فقابله الاهالي في كل مكان بفرح لا مزيد عليه واكرموه اكرام الملوك . فكان حضوره بين القوم يحملهم على اظهار حبهم له وبغضهم للانكليز وغيرتهم على محاربة عدو فرنسا . وكان يدقق البحث في كل مكان حتى من اماكن بناء المراكب ومخازن المهمات وغير ذلك وكان يصرف كل ساعاته في الشغل حتى انه ظهر انه لا لذة له الا بالكد والجد . وبعد ان ذهب الى الاماكن المذكورة عاد الى بولون

ستأتي تتمة

الهيام في فتوح الشام

(من قلم سليم افندي البستاني تابع الاجزاء السابقة)

لان الايمان يهدم الشرك وانت بعد اليوم تبغضنا فما هذه العداوة يا ابن الخطاب قديمًا وحديثًا اما آن لك ان تغسل ما في قلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم انك لا افضل منا واسبق في الايمان والجهاد ونحن عارفون برتبتكم غير منكرين. فسكت عمر واستحى من هذا الكلام. وكل ذلك انما برهان الحرية التي كان يتمتع العرب بها فان هذا الكلام عتاب بل من قبيل التوبيخ ومع ذلك لم يخف رئيس قريش ان يحدث بهِ الرجل الثاني في الخلافة العربية. واجتمع في المدينة في زمان قصير تسعة الاف من رجال العرب وفرسانهم فلما تمت تجهيزاتهم كتب ابو بكر الخليفة الى قائد جيوش الشام خالد بن الوليد ما ياتي بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معهُ من المسلمين اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الاَّ هو واصلي على نبيهِ محمد صلى الله عليهِ وسلم واقول لكم وآمركم بتقوى الله في السر والعلانية وقد فرحت بما افاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين واخبرك ان تنزل الى دمشق الى ان ياذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك ابطال اليمن وابطال مكة ويكفيك ابن معدي كرب الزبيدي ومالك الاشتر وان تنزل على المدينة الكبرى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحهُ وان حاربك فحاربهُ ولا تدخل الدروب واقول قولي هذا لان الاجل قد قرب ثم كتب كل نفسٍ ذائقة الموت. انتهى. وبعث بهذا الكتاب الى عبد الرحمن وقال لهُ انت كنت الرسول الى الشام وانت تردُّ الجواب

هذا وكان الرومان قد سمعوا بانكسار جنودهم في اجنادين وقتل قائدهم فاخذوا في الاستعداد في الشام للدفاع والنضال وقد سبق ذكر ذلك. وقد قلنا ان اباعبيدة نصب خيمة من شعر مع ان جيش العرب كان قد غنم من الخيم والثياب الرومانية الفاخرة في اجنادين وغيرها ما يكل القلم عن القيام بحق وصفهِ وما ذلك الا لان اولئك القوم الافاضل كانوا يعلمون ان العظمة الحقيقية انما هي في عظمة الافعال وفي القيام بالفروض الدينية وبالشرائع الدنيوية وبانفاذ مقاصدهم وغاياتهم وعظمة الافعال مع انحطاط الظاهر تزداد عظمة لحدوثها على غير انتظار اصحابها. وكان نزول ابي عبيدة على باب الجابية كما قد تقدم. وفرق خالد الجيوش وانزلها عند الابواب ونزل هو عند الباب الشرقي ودعا بضرار بن الازور وضم اليهِ الفي فارس وقال لهُ تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك امر او لاحت لك عيون القوم فارسل الينا. وكان توما صهر الامبراطور هرقل في دمشق فلما راى الرومان ان جنود العرب قد انتصرت في اجنادين وعادت الى حصر المدينة دخل اكابر الرجال عليهِ واخبروهُ بانهم يخافون بطش العرب ويطلبون اليهِ ان يخلصهم من بطشهم والا فيفتحوا ابواب المدينة لهم ويصالحونهم. فاظهر لهم الاستخفاف غير انهُ لما راى انهم مصرون على مصالحة العرب اذا لم يخلصهم من

مكرهم وعدهم بالخروج في الغد لقتالهم. وفي الغد اقبل توما صهر الملك هرقل من بابهِ المسمى باسمهِ وهو باب توما وانتشب القتال بينهُ وبين شرحبيل وجيشهِ وقاتل توما احسن قتال وضايق العرب وجرح ابان بن سعيد بن العاص بسهم مسموم فمات بعد ان جرح بزمان قصير. وكانت زوجتهُ بنت عمهِ وكان قد تزوجها باجنادين قبل ذلك بزمان قصير ولم يكن الخضاب ذهب من يدها ولا العطر من راسها وكانت من المترجلات الباذلات من اهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت بموت بعلها اتتهُ تعثر في اذيالها الى ان وقعت عليهِ فلما نظرتهُ صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنئت بما اعطيت ومضيت الى جوار ربك الذي جمع بيننا ثم فرق ولاجهدن حتى الحق بك فاني لمشوقة اليك حرام عليك ان يمسني بعدك احد واني قد حبست نفسي في سبيل الله عسى ان الحق بك وارجو ان يكون ذلك عاجلاً وبعد دفنهِ لم تقف على قبرهِ دون ان اتت الى سلاحهِ ولحقت الجيش بدون ان تخبر احدًا بذلك وقالت على اي باب قتل بعلي فقيل لها على باب توما وهو الذي قتلهُ صهر الامبراطور هرقل فسارت الى جيش شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهِ واخذت في ان تقاتل مع الناس قتالاً لم ترَ مثلهُ وكانت ارمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوسًا وكنانة

هذا ولا يخفى اننا قد قلنا ان جوليان واوغسطا ورفيقهما العربي المتنصر فازوا بالدخول الى الشام قبل ان عاد خالد بن الوليد القائد العام العربي اليها بعد قتالهِ العظيم في اجنادين. وبعد دخولها ببرهة قصيرة رجع العرب الى ظاهر دمشق واقاموا بالحصر وكان جوليان في جيش توما صهر الملك. ولما عرفت اوغسطا بانهُ مصمم على الانضمام الى ذلك الجيش قالت لهُ لا بد من ان اذهب الى القتال معك فان حييت انت احيا معك والا فاموت حيث تموت. فقال لها انك لطيفة التركيب وضعيفة القوة بالنسبة الى الابطال الذين يصادمون جنودنا وقد كثرت النبال في ايدي العرب والقسي بعد ان غنموا ما قد غنموهُ من سلاحنا في المواقع التي انتصروا فيها. فقالت لهُ اذا امرتني بان لا اذهب اطيعك شاكرة وبدون ذلك لا بد من خروجي للقتال وقد خرجت معك قبلاً ولم اضر بك بل نفعتك وخلصتك من القتل وخدمتك وانت مجروح ويوم بصرى اتعبتك قليلاً ولا يستحق ذلك الذكر بالنسبة الى تخليص حياتك وهذا هو الذي يحملني على طلب الخروج معك. فاقنعتهُ وجعلتهُ يرغب في خروجها معهُ اذ انها كانت تحاول اقناعهُ بملاطفة وتبسم وتدلال وتدلل حتى انهُ كان يتصور انهُ اذا راى وجهها على تلك الحال في الحرب يندر ان يصدم الالف ويفتك بهم. فلبست ثياب جندي وتقلدت سلاحها ودخلت في جيش توما واشتركت مع الذين قاتلوا عند الباب المسمى باسمهِ. ولما كان القتال مشتدًا كان جوليان واقفًا بالقرب من توما واوغسطا بجانبهِ وكان بالقرب منهم رجل روماني حامل راية الصليب. فراتهُ زوجة ابان فرمتهُ بنبلة قاتلة فسقط الى جهة مواقف العرب وسقطت راية الصليب معهُ فتراكض العرب اليهِ واخذوا الراية منهُ. فلما راى توما ان راية الصليب تكاد تبيت في ايدي القوم اعدائهم عظم عليهِ الامر وقال كيف اطيق ان يبلغ الامبراطور ان راية الصليب العظمى اخذت مني. فشد وسطهُ وسل سيفهُ وقال من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من الفوز عسى ان اشفي صدري ثم انحدر مسرعًا وامر بفتح الباب وكان اول مبادر. فلما نظر الرومان ذلك انحدروا جميعًا في اثرهِ وكانوا يعلمون شجاعتهُ وحذقهُ

وكان العرب يحيطون بالراية قاصد بن اخذها. فلما راوا هجوم الرومان وكثرتهم حضر الناس بعضهم بعضاً وسلموا الراية الى شرحبيل قائد الجيش الذي كان يحارب عند باب توما. وكان جوليان واوغسطا من الذين خرجوا قبل الجميع وراء توما صهر الملك. وشدد الرومان القتال خارج الباب الذي خرج توما منه ومن اعلاه فانهم رموهم بالنبال والحجارة من جميع الجوانب فضايقوهم حتى ان شرحبيل القائد صرخ بقومه قائلاً تقهقروا الى ورائكم لتامنوا النشاب من اعداء الله العالين على الباب. فتقهقر العرب الى ورائهم الى ان امنوا من النبال والحجارة التي كان الرومان يدفعونها عليهم من اعلى السور غير ان توما اتبعهم وهو يفتك يميناً وشمالاً وحوله ابطال قومه وعلى الخصوص جوليان الذي مع حر القتال وشدة النزال كان كل برهة يلتفت الى اوغسطا فيراها تبتسم له وتقول ان لم تكن افعال الابطال كفعلك فلا نعد ابطالاً وكانت هي لا تقطع رمي النبال ولم يكن في قلبها غير حزن وكدر من جرى التزامها بان تشغل نفسها باهلاك قوم من ابناء البشر لانهم هم الذين خرجوا لمهاجمة بلادها. ولما راى شرحبيل بن حسنة فعل توما وقومه وانهم قد ضايقوا جيشه حتى كاد يتقهقر صرخ في جنوده وقال يا معاشر الناس كونوا آيسين من اجالكم طالبين جنة ربكم وارضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا ان تولوا الادبار فاحملوا عليهم وتقربوا اليهم بارك الله فيكم. فحمل العرب واي حملة وصدمهم الرومان واي صدمة وتوما يهدر كالجمل ويقاتل بدون كلل ولا ملل وتصادمت الابطال وكثر الصراخ والضجيج وصليل السيوف وصوت وقع النبال حتى انه تيقن القومان بقرب الهلاك. ولما سمع اهل الشام ان توما صهر الامبراطور قد خرج لقتال العرب من الباب المسمى باسمه وان راية الصليب قد امست في يد الاعداء هرعوا قاصدين نجدته حتى اجتمع منهم جيش جرار وفي اثناء ذلك راى توما الراية المذكورة في يد شرحبيل بن حسنة قائد الجيوش العربية فهاجت في احشائه الحمية والغيرة ففرغ صبره حتى انه كاد يلقي نفسه في المهالك ليصل اليه فشتمه وصاح طالباً ردهُ اليه وسار قاصداً شرحبيل فلما راهُ مقبلاً عليه رمى الراية من يده وصادمه. ولما راى توما الصليب على الارض صرخ بقومه بان يبادروا الى رده فما كان من جوليان واوغسطا الا هجما عليه كانهما اسدان لا يهابان الموت. وكانت زوجة ابان المذكورة اعلاه تنظر الى توما وهو هاجم كالاسد فقالت من هو هذا فقيل لها هو صهر الملك وهو قاتل بعلك ابان بن سعيد فلما سمعت ذلك جرى الدم حاراً في عروقها ثم بارداً ثم اضطربت احشاؤها وحملت حملة منكرة الى ان قاربته ورفعت السهم لترميه بنبلة. وكان جوليان واوغسطا يحاولان الوصول الى الراية الملقاة على الارض وهي راية الصليب المذكورة وكان قوم من العرب يصدونهما فاشتد القتال بينهم وقتل جوليان اثنين منهم. وكانت اوغسطا تسترهُ احياناً بالطوارق واحياناً تصد عنه هجوم اعدائه بنبالها وكسرت رمحاً مد اليه بسيفها وبالجملة نقول انه لولاها لهلك في محاولة ترجيع الراية وكان يعلم انه اذا تمكن من ردها يعلو شانه جداً عند الرومان وينال من الامبراطور احسانات وهبات وانعامات ولذلك كان لا يرتد مع انه راى الموت الاحمر امام عينيه. وعند ما رفعت امراة ابان سهمها لترمي توما به احاط بجوليان ومحبوبته في وسط ميدان الحرب نحو عشرة رجال بل اكثر من العرب اذ راوا انه يكاد يفوز برد الراية فوقع في ما هو هلاك عظيم ومن يا ترى يقدر ان يصف حاسيات اوغسطا وهي على تلك الحال مع محبها الذي كانت تحبه اكثر من

حبها لنفسها . ومن المستغرب انها لم تهتم اقل اهتمام بالخطر الذي كان يحيط بها فان خوفها كان على محبها مع انها كانت محاطة باخطار تزيد عن الاخطار التي كانت تحيط به بالنظر الى ضعفها الجنسي وعدم اقتدارها على الدفاع عن نفسها كاقتداره هو على ذلك ومع ذلك لم يتغلب عليها ضعف جنسها ولا وقعت في ارتباك ولولا خوفها عليه عندما رات السيوف فوق راسه والرماح ممتدة اليه لما شعرت بالخوف وهي على تلك الحال . ورأى جوليان قوم من الرومان وهو على تلك الحال وهو يكاد يصل الى الراية الصليبية التي كان قد طرحها شرحبيل كما تقدم فهجموا لنجدته واي هجوم مملقين الامل بالفوز بخلاصه ونوال مجد تخليص راية الصليب . فبسبب هجومهم تفرق العرب الذين كانوا يحيطون بجوليان واوغسطا واي تفريق فانفصلت عن محبها على غير ارادتها وقبل ان ابعدت عثرات على وجهها دماً فصرخت صرخة واحدة ولولا خوفها من ظهور امرها بصوتها لصرخت صراخاً اخر

هذا وقد قلنا ان زوجة ابان هجمت الى ان دنت من توما ورفعت نبلها . فلما راها الرومان على تلك الحال خافوا على قائدهم فارادوا ان يرعبوها على انها لم تلتفت اليهم ولكنها حققت نبلها على صهر الملك توما وهو قائد الرومان وقالت بسم الله وبركة رسول الله . ثم اطلقتها عند وصوله الى شرحبيل فجاءت نبلتها في عينه اليمنى . فسكت فيها فتقهقر الى ورائه صارخاً . وهمت ان ترميه باخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من العرب يحامون عنها . فلما امنت من شر الاعداء اخذت ترمي بالنبل ثم انها رمت رجلاً من الرومان بنبلة فاصابت صدره فسقط هاوياً الى الارض . واول من تقهقر من الرومان في تلك المعركة الشديدة توما من جرى نبلة تلك المراة واستمر متقهقراً الى ان دخل الباب . فلما رآه شرحبيل قائد العرب راجعاً صرخ بقومه قائلاً يا ويلكم دونكم والرومان عسى ان تدركوا قائدهم . فعند ذلك حمل العرب على الرومان الى ان اوصلوهم الى الباب فحاماهم قومهم من اعلى الباب بالحجارة والنبال حتى ان العرب التزموا ان يرتدوا الى مراكزهم بدون ان يتمكن الرومان من اخذ راية الصليب منهم وقتل من الفريقين عدد غفير . وبعد ان دخل الرومان المدينة اغلقوا الباب

وقد قلنا انه عند هجوم الرومان لنجدة جوليان واوغسطا لاسترداد الراية المذكورة واشتداد القتال واختلاط القومين انفصلت اوغسطا عن محبها جوليان . فدخلت مع الذين دخلوا الى المدينة بعد ان جرح توما صهر الملك وقائد الجيش الذي كان يحارب خارج باب توما وسارت الى منزلها بدون ان تكون تعلم اين محبها . فاشتد انشغال بالها واي اشتداد وكانت الدقائق عندها اطول من الساعات اذ انها كانت تنتظر نهاية المعركة لتقف على خبره فان جرح توما لم يقطع الحرب ولئن كان قد الزم الرومان بالرجوع الى المدينة . فانه بعد رجوعه جاءه الاطباء ليعالجوا عينه ولم يقدروا ان يقلعوا النبلة منها بدون ان يزيد الضرر الذي كان قد لحق به . فكانوا يحاولون جذبها وهو يضج بالصراخ من جرى شدة الالم فنشروها وبقيت فضلتها في عينه وطلبوا اليه ان يسير الى منزله فابى وجلس الى ان سكن ما به وخف عنه الالم . ولما لامه القوم لانه لم يقبل بالمصالحة قال لهم يا ويلكم هل تؤخذ راية الصليب واصاب بعيني واغفل عن هذا ويبلغ الامبراطور عني ذلك فينسبني الى الوهن والعجز فلا بد من القيام بالثار ومن كسر القوم وفتح نفس مدينة خليفتهم وخرب ديارهم . ثم سار وهو معصب العين الى اعلى السور وشرع يحرض

الناس ليزيل الخوف من قلوبهم فتشددوا وشددوا القتال فان توما كان من الشجعان والابطال المشهورين ولم تكن اوغسطا تقدر على الذهاب الى السور بعد ان كانت قد سارت الى بيتها فان الرجال الذين صادفوا بعض المتاعب والشدائد التي صادفتها في تلك المعركة كلوا وقعدوا. ولم تكن تظن ان الحرب ستجدد بعد جرح توما ورجوع الجيش الى المدينة ولذلك كانت تنتظر رجوعه دقيقة فدقيقة. ولما طال زمان الانتظار اشتد قلقها فاخذت تقعد وتقوم وتقف وتمشي وتطرد من بالها كل اسباب الخوف بالاستناد على انها لم ترَ شيئاً يكدّر من جهة محبها ثم تكاد تسقط على الارض من اضطرابها لانها لم ترَ انه لم يحدث شيء لا مكدر اذ انها كانت قد انفصلت عن محبها في وسط المعارك وعند تصادم الجيوش والمواكب. وبعد ان استمرت على هذه الحال نحو ثلث ساعات ورات ان محبها قد ابطا دعت خادماً وبعثت به الى باب توما وقالت له اذهب واحمل اليَّ اخبار الجيش واسال عن جوليان وارجع اليَّ به او بخبره. فسار الخادم. ففرحت بامل الوقوف على خبر بعد برهة قصيرة مع انها كانت قادرة ان ترسل رسولاً حال وصولها الى البيت غير انها صبرت واحتملت ما كانت قد احتملت من العذاب بداعي تاخر رجوعه لانها كانت تظن انه ربما كان راجعاً فيصل قبل رجوع الخادم وغير ذلك مما يدل على ارتباكها واضطرابها من جرى ما كانت قد راته وصادفته ومن القلق الناتج عن خوفها من عدم فوزها بمقابلة محبها. وكان انتظارها رجوع الرسول حال كون جوليان قد ابطا بالعود عذاباً اشد من العذابات الجسدية الشديدة. على انها لم ترَ باباً للفرج والانسان في هذه الدنيا يلتزم ان يحتمل ما يكاد يكون احتماله غير ممكن فانه عبد ظروفه واميالهِ واحتياجاتهِ

ولما راى شرحبيل بن حسنة ثبوت الرومان في القتال بعد ان تقهقروا وان جيشه ضعيف بالنسبة الى عددهم واستعدادهم بعث الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم وانه ظهر من اعمال توما ما لم يكن في حساب وانه يطلب اليهِ رجالاً لان الحرب عندهُ اشد من كل باب. فلما سمع خالد بتقهقرهم حمد الله وسال عن كيفية اخذ راية الصليب فاخبرهُ الرسول. فقال خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذي يمنعهم عن الصلح ونرجو من الله ان يكفينا شرهُ فعد الى شرحبيل وقل له كن حافظاً ما امرتك بهِ فكل فرقة مشغلة عنك وانا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك. فرجع الرسول واخبرهُ بذلك فصبر وقاتل بقية يومهِ

وناصف الليل بدون ان تفوز اوغسطا بالاجتماع بجوليان ولا بالوقوف على خبر من اخباره. ومع انها كانت متعبة جداً لم تكن تقدر ان تنام فان الكدر والقلق والاضطرابات كانت قد نفت النوم من عينيها والراحة من جسدها وا[illegible] اصحاب اشتغال البال. ولا نريد ان نطيل الكلام في وصف كلما كانت تحتمله ولذلك نكتفي بان نقول انها سلمت نفسها الى ضعف جنسها بعد جلدها وثباتها كالابطال فان المصيبة مست قلبها وقلب النساء لطيف وشديد الشعور فهي تمس وتؤثر في كل الجسد فباتت ملقاة على الارض عند فراشها تبكي وتنوح وتتنهد حال كونها تكاد تكون غائبة عن الصواب. وبعد ان صرفت نحو ساعتين على تلك الحال تغلب سلطان النوم عليها عند الفجر فنامت على الارض غير ان عواطفها لم تنم فانهُ بعد نومها باقل من ربع ساعة ذكرت اسم جوليان وتكلمت بعض كلمات كانت تكلمهُ بها وهي تحارب بجانبهِ. وما قالتهُ هو تظنان القوم آتون من الجهة التي

وعند الفجر او بعده ببرهة قصيرة دعا توما اليه اعيان دمشق واكابرها فحضروا اليه فقال لهم يا قوم انه قد طاف عليكم قوم لا امان لهم ولا عهد لهم وقد اتوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك النساء وسبي الاولاد وتكون نساؤكم جواري لهم واولادكم عبيدًا ولم تقع راية الصليب في ايديهم الا مما اضمرتم من مصالحتهم وانا قد خرجت ولو لم اصب بعيني لما عدت حتى افرغ منهم ولا بد من ان اخذ ثاري واقلع الف عين من العرب ولا بد من رد راية الصليب. فقالوا ها نحن بين يديك وقد رضينا بما رضيت لنفسك فان امرتنا بالخروج خرجنا معك وان امرتنا بالقتال قاتلنا. فقال اعلموا ان من خاض الحروب لم يخف من شيء واني قد عزمت ان اهجم هذه الليلة واكبسهم في اماكنهم فان الليل مهيب وانتم اخبر بالبلد من غيركم فلا يبقى الليلة منكم احد حتى يتاهب للحرب ويخرج من الباب وارجو ان لا اعود حتى تنقضي الاشغال فاذا فرغت من القوم آخذ اميرهم اسيرًا واحمله الى الامبراطور فيامر فيه بامره. فقالوا حبًا وكرامة. [illegible] عند ذلك فرق القوم على الباب الشرقي فرقة [illegible] الجابية فرقة وهكذا على سائر الابواب وقال [illegible] تجزعوا فان امير القوم متباعد عنكم وليس هناك الا ادنيا القوم والموالي فاطحنوهم طحن الحصيد ودعا بفرقة اخرى الى باب الفراديس وهكذا رتب قومه واتام بالاستعدادات اللازمة لكبس العرب والقيام بالثار

وبعد ان نامت او غسطا على تلك الحال نحو ساعتين فقط استيقظت وفي اول الامر لم تظن انها لا تزال بعيدة عن محبها فانها لم تكن قد رجعت الى نفسها حق الرجوع غير انها لما رات ان محبها لم يعد اليها وان الرسول قد عاد تشاءمت بالشر واخذت ترتجف وفرائصها ترتعد فارادت النهوض فلم تقدر فدعت الرسول اليها وقالت له ما الخبر. فقال ان الجيش سيكبس الاعداء في هذا المساء والقتال استمر امس الى نهاية النهار. فقالت اين سيدك جوليان. فعرف الخادم شدة اضطرابها من ارتجاف صوتها وضعفه فقال لها يا سيدتي انني عند الخروج من هنا كانت الحرب لا تزال منشبة فلم اقدر ان اقف على خبره. فاستنتجت انه لم يسال عنه واطمانت بعض الاطمئنان على انها الامتة على تهامله وعدم سواله فقال لها لقد سالت. فلما سمعت ذلك منه جرى الدم باردًا في عروقها وقالت الم تقف له على خبر. فقال لها الظاهر . . . فعارضته في الكلام وقالت له يا ويحك الا تعلم ان تجيب على خطابي بما يلزم قل لي هل بحثت عنه وسالت او لا وهل وجدته او وقفت له على خبر او لا. فقال لها لقد سالت عنه وبحثت كما اخبرتك ولكن لم . . فعارضته اذ انها رات انه لا اقتدار لها على التجلد وقالت له اخرج بالحال ونهضت كانها قد اصيبت بداء الجنون واغلقت باب مخدعها والقت نفسها على الفراش واستخرطت في البكاء وهي تقول يا لسوء حظي هذه نهاية حبوة لولا الغرام لكانت اسعد حبوة فلا ارى بابًا للفرج فان قلبي لا يقدر ان يثبت على هذا الهم ولا ان يطيق الفراق فبدون جوليان العالم ظلام وشقاء وعناء وهو وبه كل الفرج والسعادة والسرور فلا اعيش بعده يومًا ولا اكون لغيره فهو حبيبي ليس سواه وهو نصيبي فان تعسر الحصول عليه في هذا العالم يتيسر في العالم الاتي. وبالجملة نقول انها اطالت الكلام المتعلق بندب سوء حظها وبقرب حلول اجلها وصممت في اقل من ساعة على ان تخرج مع الجنود في هجومهم في ذلك الليل لتلحق نفسها بمحبها بالطريقة التي مات فيها وفي نفس المكان. فهذا التصميم كفكف دموعها وشد عزمها وحملها على ان تغسل وجهها وتطلب طعامًا

فاكلت كفايتها ونامت طلبًا لراحة الجسد. ورات يدها الجميلة قبل ان نامت فقالت في نفسها ستزول هذه اليد في اقل من يوم واحد. ومن الغريب انها هي كانت عازمة على تعريض نفسها للقتل وكانت قادرة على ان تخلص نفسها منه ومع ذلك كانت ترى بابًا للامل اي انها كانت تعلق املها بالنجاة مما كانت هي مزمعة ان تطرح نفسها فيه وخلاصها متعلق بارادتها وهذا هو الامل الذي ربما كان الانسان لا يعيش لحظة بدونه حتى انه يبني لنفسه تصورًا عند الشدة بالمعجزات او بالحصول على مساعدة الله او غير ذلك. وطال زمان نومها. غير انه كان نومًا مكدرًا باحلام مرعبة، ولم تنثن عن عزمها بها. فلما استيقظت اكلت مرة ثانية ولبست ثياب جندي وتقلدت سلاحًا وسارت الى المعسكر حسب العادة. وكان قد شاع خبر فقد جوليان واخذ القوم في ان يتاسفوا لفقده ويثنوا عليه ولا سيما القواد. فتذكرت اوغسطا ما يقال من انه لا خير في يوم مدحت به اذ انه يوم موت الممدوح. فان الحسد في حياته يسد افواه الناس ولا سيما الذين هم ابناء مدينته ويحبسها عن مدحه لئلا يكونوا هم واسطة لتقدمه عليهم. ومع ذلك لم تذرف دمعة لان تصميمها على القيام بذروة الموت انشف دموعها وجعل ضعفها قوة وحزنها ميلًا شديدًا الى القيام باخذ الثار

هذا وبعد ان رتب توما الجيوش امام الابواب اقام ناقوسًا وقال لهم متى سمعتموه فهي العلامة التي بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين. هذا بعد ان كان قد جمع اليه جميع ابطال الرومان الذين كانوا في المدينة وقال لهم قد قلت ان استماع صوت الناقوس العلامة بيننا فعند ذلك افتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى اعدائكم ولا تجدوا رجالًا نيامًا الا وضعوا السيوف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم في هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبر ون بعدها ابدًا. ففرح الرومان بذلك وخرجوا الى حيث امرهم وقعدت كل فرقة عند بابها منتظرة صوت الناقوس ودعا توما برجل من رجاله وقال له خذ ناقوسًا واعلُ به على الباب فاذا رايتنا قد فتحناه فاضربه ضربة خفيفة يسمعها قومنا. وسار بفرقة من الجيش مدرعة وفي ايديها السيوف وسار توما في طليعتها. وعندما تكامل عدد فرقته قال لرجالها يا قوم اذا فتحنا لكم الباب فاسرعوا الى عدوكم وجدوا في سعيكم الى ان تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا ان يكون امير القوم ومن ابصر منكم راية الصليب فلياخذها. ثم فتح الباب وطرق الناقوس وهجم الرومان على العرب وهم في غفلة. وكانت اوغسطا مع جيش توما الذي خرج من باب توما وامامه شرحبيل بن حسنة ومعه زوجة ابان المشهورة وهي التي جرحت توما بسهمها. وعندما خرج الرومان من الابواب سمع العرب صوت خروجهم فخافوا من غوائل الاخذ بالغفلة غير ان بعضهم اسرع الى ايقاظ البعض الاخر وتواثبوا بجنتهم المعهودة حتى انه لم يدركهم الرومان الا بعد ان تقلدوا السلاح وباتوا على حذر غير انهم التزموا ان يصادموا وهم على غير ترتيب. وانتشب القتال في الظلام وكثر الضجيج والصراخ والانين. فسمع خالد بن الوليد صوت انتشاب الحرب بين الطلائع والاعداء فنهض منذ هلا من جرى شدة الزعقات التي كان يسمعها فصاح واغوثاه واسلاماه كيد قومي ورب الكعبة اللهم انظر اليهم بعينك التي لا تنام وانصرهم يا ارحم الراحمين. وسار خالد بعد ذلك مسرعة ومعه اربعمائة فارس من اصحابه وهو بغير درع ولبس ثوب كتان من عمل الشام وكان

ستاتي بقيتها

ملح

العقل في البخل

خرج رجل الى بلد فنزل بقوم اياماً لا يكلفهم مونة نفقته حتى كان يوماً قد احضر قطعة لحم موزونة فتركها في البيت وخرج ثم عاد فلم يجدها فسال عنها فقالوا قد اكلها الهرّ فقال ان الهرّ لا ياكل كل هذا قالوا قد اكلها فقال انا اعرف ذلك وعمد الى الهرّ فاختطفه وربطه واحضر ميزاناً فوزنه واذا هو بوزن اللحمة فقال يا بني العم ان كان هذا الهرّ فاين اللحمة وان كان هذا اللحمة فاين الهرّ فانكم لسارقوها ولا اتركنكم او تحضروا لي اياها. قال فضحكوا حتى تعبوا وقالوا قد مزحنا معك ثم احضروها

البراعة

قيل كان احمد بن المدبر الكاتب المشهور اذا مدحه شاعر ولم يعجبه شعره قال لغلامه امضِ به الى الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائتي ركعة ثم اطلقه. فتحاماه الشعراء فجاءه الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستاذنه بالمدح فقال له قد عرفت الشرط قال نعم وانشد

اردنا في ابي حسنٍ مديحًا
كما بالمدح تُنتجع الولاةُ
وقلنا اكرم الثقلين طرًّا
ومن كفيه دجلة والفراتُ
فقالوا يقبل المدحات لكن
جوائزهُ عليهنّ الصلوةُ
فقلت لهم وما تغني صلوةٌ
عيالي انما الشان الزكوةُ
فيامر لي بكسر الصاد منها
فتصبح والصلوة هي الصِّلاتُ

فضحك ابن المدبر واحسن اليه

حسن الجواب

من اللطائف ما يحكى ان رجلين من اكابر العلماء ذهبا الى صديق لهما فلما اتيا الباب تعازما على الدخول طويلاً ثم اقسم احدهما على الاخر فدخل وقال اذًا اكون حاجبًا فقال صاحبه والحاجب على العين

الجواب البليغ

مدح ابو عبادة البحتري طاهر بن اسمعيل الهاشمي فبعث اليه طاهر بدنانير وكتب معها

لو يكون الحباء حسب الذي انـ
ـتَ لدينا له محلٌّ واهلُ
لحثوت اللجين والدرّ واليا
قوت حثوًا وكان ذاك يقلُّ
والكريم الظريف يسمح بالمذ
ر اذا قصّر الصديق المقلُّ

فردها البحتري وكتب اليه

بابي انت انت للبرّ اهلُ
والمساعي بعدٌ وسعيك قبلُ
والنوال القليل يكثر ان شا
ء مرجيك والكثير يقلُّ
غير اني رددتُ برّك اذ كا
ن ربًا منك والربا لا يحلُّ
واذا ما جزيت شعرًا بشعرٍ
بلغ الحقّ والدنانير فضلُ

التهكم

قيل كان هشام بن عبد الملك احول فخرج يوماً فلقيه رجل على فرس شموس فلما راى جيش هشام نفر وثار حتى كاد يصدم هشاماً. فقال هشام قاتلك الله اذا كان فرسك شموسًا فلا تخرج به بين الناس. فقال جعلت فداك والله ما فرسي بشموس ولكنه ظنك حلوان البيطار فنفر. وكان البيطار احول فشتمه هشام